الأدب الساخر في الأردن : " المقالة الصحفية والقصة القصيرة نموذجاً "

إعداد

أحمد عبد الله محمد العويسي .

إشراف

الدكتور : جمال محمد مقابله .

" أستاذ مشارك "

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في تخصص اللغة العربية وآدابها / الأدب والنقد .

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة الهاشمية .
الزرقاء – الأردن

2011/11/1

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ :   /   /

أعضاء لجنة المناقشة :   التوقيع

1- الدكتور جمال محمد مقابله / رئيساً   ....

أستاذ مشارك ، النقد الأدبي .

2- الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم حوَّر / عضواً   ....

أستاذ دكتور ، النقد الأدبي .

3- الدكتور عبدالباسط محمد الزيود / عضواً   ....

أستاذ مشارك ، النقد الأدبي .

4- الأستاذ الدكتور نبيل يوسف حداد / عضواً   ....

أستاذ دكتور ، النقد الأدبي .

جامعة اليرموك

الإهداء

إلى التي حملتني وهناً على وهن ... ورعتني بعطفها وحنانها.....
إلى أول كلمة نطقتها شفتاي أمي الحبيبة ، أمدّ الله في عمرك .....

إلى من كلل العرق جبينه.. وشققت الأيام يديه ....
إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار ....
إلى والدي أطال الله بقاءه .....

إلى إخوتي وأحبتي ....
إلى هؤلاء جميعاً ... أهدي ثمرة جهدي المتواضع .

الشكر والتقدير

إن الحمد والشكر لله أولاً ، الذي يسّر أمري ، وهيأ لي سبل إتمام هذه الرسالة .

ومن ثم أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور جمال مقابله ، الذي تابعني في كّل مراحل هذه الدراسة ، كلمةً كلمة ، ولم يدّخر جهداً في رعايتي وتوجيهي ، وأتقدم بالشكر للأساتذة الأفاضل ، الأستاذ الدكتور نبيل حداد والأستاذ الدكتور محمد حوَّر والدكتور عبد الباسط الزيود على توجيهاتهم القيمة التي أثرت البحث وعمقته .

كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة .

محتويات البحث

الفصل الأول : المقالة الصحفية في الأردن

الفصل الثاني: المقالة الصحفية الساخرة وتطبيقاتها في الأردن

الفصل الثالث : المقالة القصصية الساخرة وتطبيقاتها

ملخص

الأدب الساخر في الأردن

" المقالة الصحفية والقصة القصيرة نموذجاً "

إعداد

أحمد عبدالله محمد العويسي

المشرف

الدكتور جمال محمد مقابله

أستاذ مشارك

قامت هذه الدراسة بمعالجة الأدب الساخر في الأردن ، المقالة الصحفية والقصة القصيرة نموذجاً ، وقد بيّنتْ أنّ ظهور السخرية جاء بفعل تغيّرات اجتماعية كبيرة ، أثّرت في الفرد والمجتمع ، وقد اتّخذ الكتاب منها وسيلةً للنقد والتغيير.

وقامت الدراسة على مقدّمة وتمهيد وفصلين وخاتمة ، وجاء التمهيد بعنوان ، السخرية : الفكرة والمفهوم والتاريخ " وتحدثنا فيه عن السخرية لغة واصطلاحاً ، والألفاظ القريبة لها بالمعنى كالتهكم والهزء ، كما ناقش هذا الفصل أساليب السخرية وأسبابها ؛ بالإضافة إلى الصفات التي قد يمتلكها الكاتب الساخر .

كما تحدثنا في التمهيد عن تاريخ السخرية في العصور الأدبية العربية والغربية ، أما الفصل الأول : فقد جاء بعنوان " المقالة الصحفية في الأردن " وجاء فيه دراسة في مفهوم المقالة ونشأتها ، ومن ثم ركزنا على المقالة الصحفية الساخرة في الأردن وأبرز أعلامها ، وجاء الفصل الثاني بعنوان "المقالة الصحفية الساخرة وتطبيقاتها " وظهر فيه بعض التقنيات النقدية والأساليب الفنية كالمفارقة والتناص واللهجة العامية والتصوير الكاريكاتوري ، وجاء الفصل الثالث بعنوان " المقالة القصصية الساخرة وتطبيقاتها ، مركزاً على سماتها ، وفي نهاية الفصل جاءت دراسة المضمون متمثلة بالاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

وقد درست النصوص الساخرة دراسة نقدية من خلال الاهتمام بجانبي الشكل والمضمون ، وتنبع أهمية هذه الدراسة من أنها تناقش موضوعاً لم يعط حقه في الدراسة ، بالإضافة إلى أهمية الموضوع نفسه .

المقدمة

تعد السخرية في الأدب الأردني والمقالة خاصة ؛ من الموضوعات التي لم تعط حقها في الدراسة ولم تحظ باهتمام كبير ، وجاءت هذه الدراسة لتزيل الغموض عن الأدب الساخر في الأردن في فن المقالة .

وتتناول هذه الدراسة : " الأدب الساخر في الأردن : المقالة الصحفية والقصة القصيرة نموذجاً " ، وقد سجلت هذه الدراسة بهذا الاسم على أمل دراسة فني المقالة الصحفية والقصة القصيرة ، لكن بعد البحث والتمحيص ، اكتشفت أن من سمات المقالة الصحفية احتوائها على عناصر قصصية ؛ كالحوار والسرد والشخصيات ، وحاولت تغيير العنوان مراراً ، ولكن دون جدوى ، فتوجهت إلى دراسة المقالة القصصية على أنها جزء لا يتجزأ من المقالة الصحفية ، لأنها في نهاية المطاف هي مقالة صحفية امتزجت بعناصر قصصية .

وقد واجهت في هذا البحث مصاعب عديدة ؛ أبرزها وأولّها : ندرة الدراسات النقدية الجادة ، حيث لم أعثر على كتاب يتحدث عن السخرية في الأدب الأردني ؛ إلا بعض المقالات النقدية التي تتحدث في أغلبها عن السخرية بشكل عام ، دون التطرق إلى سماتها وتقنياتها وصورها .

ثانيها : تناوب أساتذة أفاضل على رسالتي : وهم الدكتور ناصر شبانه الذي اقترح علي الموضوع مشكوراً ، وسافر على السعودية بداعي التفرغ العلمي ، والأستاذ الدكتور محمد حور حوَّر ، التي نوقشت الخطة تحت إشرافه ، ولم استطع إكمال بحثي معه لاكتفائه بعدد محدد من الطلاب المسجلين لديه ، ومن ثم انتقلت إلى مشرفي الرئيسي الدكتور جمال مقابله الذي وافق على الإشراف عليها ، ورحب بالموضوع ، وأنجزته برفقته ، فأشكره على صبره علي في مراحل هذه الدراسة .

وتكمن أهمية هذا الموضوع في انتشار الكتابة الساخرة في الأردن ، وكثرة كتابها مع عدم وجود دراسة جادة تناقش هذا الكم الوفير من المقالات الساخرة ، فجاء هذا البحث ليوضح طبيعة المقالة الساخرة في الأردن وأبرز سماتها ، بالإضافة إلى أن السخرية كتابة شعبية تحظى باهتمام كبير من عامة الناس .

وقد اقتضت طبيعة البحث احتواء الرسالة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، وجاء التمهيد بعنوان " السخرية : الفكرة والمفهومٍ والتاريخ " وتحدثنا فيه عن السخرية لغة واصطلاحاً ، والألفاظ القريبة لها بالمعنى كالتهكم والهزء والفكاهة ، وعمدنا إلى ذكرها لقربها لها بالمعنى ، كما جاء في هذا الفصل حديثنا عن السخرية في القرآن الكريم ومغزاها ، وحاولنا التفريق والتقريب في المعاني بين السخرية ومصطلحات الفكاهة والضحك ؛ ليصبح لدينا تصور عام عن مصطلح السخرية موضوع حديثنا في هذه الرسالة .

كما ناقش هذا الفصل أساليب السخرية وأسبابها ؛ بالإضافة إلى الصفات التي قد يمتلكها الكاتب الساخر .

وتناولنا فيه أيضاً ، السخرية في الأدب العربي القديم والعباسي والأدب الحديث ، والأدب الغربي من خلال نبذة بسيطة عن أبرز كتابه وأعمالهم الساخرة .

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان المقالة الصحفية في الاردن ، وتطرقنا فيه الى نشأة المقالة وتعريفها وأنواعها ، وارتباط المقالة بالصحافة بشكل كبير ومن ثم تحدثنا عن ابرز الصحف وكتاب المقالة في الوطن العربي عامة والأردن خاصة .

وجاء الفصل الثاني بعنوان " المقالة الصحفية الساخرة وتطبيقاتها " ، وجاء فيه دراسة للمقالة بشكل عام ، حيث جاءت الدراسة التطبيقية متمثلة ببعض الأساليب والوسائل الفنية التي وظفت بشكل

كبير عند كتاب المقالة الساخرة في الأردن ، ومنها : المفارقة ، التصوير الكاريكاتوري ، التناص ، ومن ثم أفردنا فصلاً للحديث عن المقالة القصصية وسماتها عنوناه بـ " المقالة القصصية الساخرة وتطبيقاتها ، كما جاء في هذا الفصل دراسة للمضامين التي اشتملت عليها المقالة الساخرة ، وفي الخاتمة رصد لأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

ونهجنا في بحثنا هذا إلى دراسة النصوص الساخرة دراسة نقدية نصية ، من خلال الاهتمام بجانبي الشكل والمضمون ، وجاءت الدراسة الشكلية متمثلة ببعض التقنيات والأساليب التي انتشرت في ثنايا المقالة الصحفية الساخرة ، ودرسنا مضامين المقالة الساخرة والمتمثلة بالاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وقمنا بلاهتمام بالشكل دون غفلة عن المضمون ، لكن الاهتمام بالشكل أخذ حيزاً أكبر في هذ ه الدراسة ، فقد عمدت في دراستي للشكل التركيز على بعض المضامين الواردة في المقالة الساخرة ، أي أن المضمون واضحٌ على مدار صفحات هذا الفصل .

وقد مثلت في دراستي التطبيقية للمقالة الساخرة من الزعبي وغيشان أكثر من غيرهما ، لأنهما نوّعا في استخدام الأساليب والتقنيات ، مما جعل كتابتهما تنتمي إلى الكتابة الإبداعية بامتياز ، لكننا لم نغفل الكتاب الآخرين وأعطيناهم ما يستحقونه في الدراسة .

وفي الخاتمة رصد لأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

هذه رسالتي أضعها بين أيديكم ، ولا أدّعي أنها بلغت الكمال في ما وصلت إليه ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في هذا العمل المتواضع ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيد

السخرية : الفكرة والمفهوم والتاريخ .

دراسة في المفهوم :

تعد السخرية من الموضوعات التي جذبت اهتمام الكثير من الأدباء والكتاب وعنايتهم بها ، فقد ظهرت في جلّ الآداب العالمية ؛ لأهميتها في التعبير عن أفكار الناس وآرائهم وقيمهم ، ومعاناتهم وآلامهم ، وهي قديمة قدم الإنسان .

وقبل الولوج إلى تعريف السخرية لغةً ، لا بد من الإشارة إلى أنّ السخرية ارتبطت بألفاظ مترادفة لها في المعاجم العربية " ولم تحاول التفريق بين معانيها الدقيقة ، بل لم تهتم بإيراد شواهد كثيرة لكل كلمة وقد تركت أيضاً المعنى العام الذي شمل السخرية والاستهزاء والتهكم بدون معنى يقربه للأذهان" [1] ، لذلك حاول الدارسون في دراستهم للسخرية التفريق بينها وبين الكلمات التي تؤدي معناها في المعاجم العربية ، وقد غلب على معظم الدراسات تناولها لمصطلحي الفكاهة والضحك في حديثها عن السخرية [2] ، وبناءً على ذلك ، لا بد من توضيح بعض الألفاظ المرادفة للفظ السخرية وتقريبها للفهم ، ومن هذه الألفاظ الهزء والتهكم والتفكه ، والتندر ، وسأعرض لاثنتين منهما لقربهما من مفهوم السخرية .

الهزء : " هَزَأَ بالشيء ، ومنه هُزْءاً : سخِر به أو منه " [3] ، " وهَزَأَ الرجل إبله هُزْءاً : قتلها بالبرد ، وهزأتُ الراحلة : إذا حركتُها " [4] ، وهي تشتمل على الحرفين الهاء والزاي الموحيين بالخفة واللين [5] ، كما توحي بالقتل البارد اللين من غير عنف [6]

1- انظر : طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ط1987،1م، دارالتوفيقية للطباعة بالأزهر، ، ص13 .

2- انظر مثلاً : طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص10- ص13 ، و المعاملي ، شوقي، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق ،1988م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص9 – ص11 ،

3- أنيس ، ابراهيم ،المعجم الوسيط ، 2004م ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مادة هزأ .

4- ابن منظور ، جمال الدين بن فضل ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مادة : هزأ .

5- انظر : طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص11 .

6- انظر : المرجع السابق ، ص11 .

التهكم :

" الهَكِم : المتقحم على ما لا يعنيه ، الذي يتعرض للناس بشره ، وتهكَّم على الأمر وتهكَّم بنا : زرى علينا وعبث بنا ، وفي حديث أسامة : خرجت في إثر رجل متهم جعل يتهكم بي ، أي : يستهزئ ويستخف" [1] ، " استهكم : تكبر ، وهو الذي يتهدم عليك من الغضب والحمق ، وتهكم عليه إذا اشتد غضبه وتهك مت البئر تهدمت ، والأُهكومة والتهكُّم : الاستهزاء ." [2] ، والتهكم ظاهره جد وباطنه هزل [3] " وفي الاصطلاح : هو الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشارة في موضع التحذير ، والوعد في مكان الوعيد ، والعذر في موضع اللوم ، والمدح في معرض السخرية " [4] ، فالمتهكم شخص يعتدي على الناس ويستهزئ بهم ويتقحم عليهم بالغضب والحمق في أمور لا تعنيه ، ويتعرض للناس بشره ويهاجمهم بقوة وعنف وخفاء ومكر .

السخرية لغةً :

السخرية هي الاستهزاء ، نقول : " سَخِرَ منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومسْخَراً وسُخْراً وسُخْرة وسُخْريًّاً وسِخْرِيّاً وسُخْريّة : هَزِئ به" [5] ، وفلان سُخْرة وسَخَرة : يَضْحك منه الناس ويضحك منهم ، وهو مسخرة من المساخر ، وتقول رب مساخر يعدها الناس مفاخر وأنا أقول هذا ولا أسخر أي لا أقول إلا ما هو حق " وسخّره تسْخيراً : ذلّله ، وكلّفه عملاً بلا أُجرة " [6]، وتسخرت

1- لسان العرب ، مادة : هكم .

2- المعجم الوسيط ، مادة : هكم .

3- النويري ، شهاب الدين ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 1976م ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، السفر السابع ، ص 179 .

4- وهبة ، مجدي ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط2 ، 1984، مكتبة لبنان ، بيروت ص125 .

5- لسان العرب ، مادة سخر .

6- القاموس المحيط : مادة سخر .

دابة لفلان : أي ركبتها بغير أجر ، وكل مقهور لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر فهو مسخَّر ، قال الأخفش : سخرت منه ، وسخرت به ، وضحكت منه ، وضحكت به ، وهزئت منه ، وهزئت به ، كل يقال ، وفي الحديث :أتسخر مني وأنا الملك ؟ ، أي أتستهزئ بي ، وإطلاق ظاهره على الله لا يجوز ، وإنما هو مجاز بمعنى : أتضعني فيما لا أراه من حقي ، فكأنها صورة السخرية . [1]

إن السخرية من خلال معناها اللغوي في المعاجم تعني : الضحك والقهر والتذليل والازدراء والاحتقار والاستهزاء والاستخفاف بمن يسخر منهم ، ويوحي حرفا السين والخاء باللين والخفاء وعدم الإبانة بطريقة مباشرة ، كما يعبران عن الخبث والدهاء [2] .

من خلال عرضنا للمعاني المرادفة للسخرية وجدنا أن هذه الألفاظ تدور بدلالات ومعانٍ متقاربة ، وأن المعاجم اللغوية لن تسعف في التفريق الدقيق بينها ، وتكاد السخرية تحمل أغلب معاني الألفاظ التي ذكرتها ، فالسخرية تشتمل على الهزء الذي يختلف عن السخرية في أن " الاستهزاء يقع ابتداء من دون أن يقع من المستهزأ به ما يؤدي إلى وجود الاستهزاء ، أما السخرية فلا بد من وجود فعل سابق يُسخر منه " [3] ، والهزء يدل على المصارحة والمباشرة من الهازئ ، بعكس السخرية التي تريد الخفاء والبعد عن المواجهة المباشرة ، أما الدعابة فهي تدل عموماً على المزاح ، والمزاح لا يكون إلا بين المتحابين الّذين تجمعهم علاقة مودة واحترام .

ومن هنا يتضح الاختلاف بينها وبين السخرية ، كما أن الفكاهة عنصرٌ مهمٌ من عناصرها

1- لسان العرب ، مادة : سخر .

2- انظر : طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص12

3- العسكري ، أبو هلال ، الفروق اللغوية ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، 1997 م ، دار العلم والثقافة ، القاهرة، ص254.

بما تدل عليه السخرية من ضحك ومزاح ، وقد تكون السخرية من أقسام الفكاهة .

ولعل التهكم من أشد الألفاظ ارتباطاً وتعلقاً بالسخرية ، فكلا اللفظين يتصفان بالخفاء والهزء والاستخفاف ، فهي لون من ألوان السخرية ، ويعد التهكم من أكثر الألفاظ دلالة على السخرية ؛ حيث يعبر عنهما معاً ؛ للدلالة على اتصالهما ببعضهما في المعنى والدلالة .

والسخرية أفضل مصطلح انتقاه الدارسون لقربه من المعاني التي يريدونها ، إضافة لما في السخرية من احتضان لمعاني المصطلحات القريبة منها في المعنى أو المرادفة لها .

وتدل السخرية بما تشتمل عليه من معانٍ وأفكار على محاولة الساخر تذليل خصمه وإخضاعه له [1]

السخرية اصطلاحاً :

من الصعب بمكان إيجاد تعريف جامع مانع للسخرية ؛ ذلك أن السخرية قبل أن تكون موضوعاً أدبياً أو نقدياً أو فنياً ؛ هي انفعال نفسي يتشكل في وجدان الإنسان ، وحالة خفية تتفعل معه مشاعره فتتبلور على شكل حركات في وجهه أو جوارحه ، أو تتبلور في كلمات وجمل على لسانه ، كما أن " السخرية " تتداخل وتمتزج مع ألفاظ ومصطلحات أخرى كالفكاهة والتهكم والهجاء والتندر .

فضلاً على أن السخرية " سمة أسلوبية تختلف تعابيرها وسماتها من كاتب إلى آخر" [2] ؛ لأن أسبابها وبواعثها تختلف من إنسان لآخر ، حسب الظروف والأمكنة والأزمنة ؛ إذ أنها قد تنبع في منطقة منحلة أخلاقياً ، وأخرى تتصف بالبخل إلى غير ذلك من الصفات الذميمة التي ترافق واقع الأديب الساخر .

1- انظر : طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص12 .

2- المعاملي ، شوقي ، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق ، ص11 .

وقد حاول الدارسون تعريف السخرية الأدبية ، فقد أورد نعمان طه بعض تعريفات السخرية عند النقاد الغرب ، ومنها أن السخرية " طريقة من طرق التعبير ، يستعمل فيها الشخص ألفاظاً تقلب المعنى ، وهي صورة من صور الفكاهة تعرض السلوك المعوج والأخطاء التي إن فطن إليها وعرفها فنان موهوب تمام المعرفة ، وأحسن عرضها ، تكون حينئذ في يده سلاحاً مميتاً " (1) .

والسخرية " هي الهزء بشيء ما ، لا ينسجم مع القناعة العقلية ، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عرف الفرد والجماعة ، إنها موقف متعال ، مزدر بما هو شاذ ، غريب ، منقطع عن المألوف " (2)

وعرفها نعمان طه بقوله إنها : " النقد الضاحك ، أو التجريح الهازئ ، وغرض الساخر هو النقد أولاً والإضحاك ثانياً، وهو تصوير الإنسان تصويراً مضحكاً : إما بوصفه في صورة مضحكة بواسطة التشويه – الذي لا يصل إلى حد الإيلام – أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حين سلوكه مع المجتمع وكل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة " (3) .

أما في المعاجم العربية الحديثة ، فيرى صاحب المعجم الأدبي ، أن السخرية : " نوع من الهزء قوامه الإمتاع عن إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات ، والإيحاء عن طريق الأسلوب ، وتتركز السخرية أصلاً على طريقة في طرح الأسئلة مع التظاهر بالجهل وقوله شيء في معرض ذكر شيء آخر " (4) ، وهي " طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل ، كقولك للبخيل ما أكرمك " (5) .

1- طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص 13.

2- عكاري ، سوزان ، السخرية في مسرح انطوان غندور ، 1994م، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ص 24 .

3- طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص14 .

4 – عبد النور ، جبور ، المعجم الأدبي ، ط1، 1979م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص138 .

5 – د. سي ميويك ، المفارقة ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، 1983 م ، دار الحرية ، بغداد ، ص17 .

إذن ، من الطبيعي عدم الاستقرار على تعريف بعينه ، فالسخرية انفعال نفسي تختلف طرقه وأساليب تعبيره من شخص إلى آخر ، ومن الجدير بالذكر ، أن مفهوم السخرية مضطرب حتى في الثقافة الغربية. فقد قال د. س ميويك إنه : " لأسباب مختلفة، بقي مفهوم السخرية مفهوما غير مستقر، مطاطا وغامضا. فهو لا يعني اليوم ما كان يعنيه في القرون السابقة، ولا يعني نفس الشيء من بلد إلى آخر، وهو في الشارع غيره في المكتبة، وغيره عند المؤرخ والناقد الأدبي. فيمكن أن يتفق ناقدان أدبيان اتفاقا كاملا في تقديرهما للعمل الأدبي، غير أن أحدهما قد يدعوه عملا ساخراً، في حين يدعوه الثاني عملا هجائيا أو هزليا أو فكاهياً أو مفارقاً أو غامضاً " [1] .

إن كثرة المواقف التي تستدعى وجود السخرية فيها كثيرة ، فكما قال د.س ميويك ، فالشارع له سخريته والمكتبة كذلك والبيت ....الخ ، ومن هنا ، فإن طرق السخرية تتشعب ، وتتنوع بتنوع المواقف التي تظهر فيها ، والتي تطرأ في أي وقت .

كما تختلف السخرية من وجهة نظر الكتاب والنقاد ؛ حتى أن أساليب الكتاب في التعبير عن سخريتهم متعددة ، فمنهم من يضحك وينتقد ، ومنهم من ينتقد دون إضحاك ، فضلاً عن اختلافهم في طريقة التعبير عنها .

إن الأفكار التي تحاول السخرية إيصالها ، والمواقف التي ت قوم نقدها كثيرة ، مما يصعب حصرها بتعريف دقيق شامل جامع .

وهذه بعض التعريفات التي تميل إلى وجهة نظر خاصة لكتاب أردنيين ساخرين ونبدأ بفخري قعوار الذي يعرفها بقوله : " الكتابة الساخرة في كل الأحوال تعكس صورة الواقع

---

1 – وهبة ، مجدي ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص 198 .

بجماله وقبحه ، ولكن بأسلوب مختلف عن الكتابة العاديّة ، وهي ليست كتابة تنفيسية وإنما هي كتابة جادة ، تعالج قضايا حيويَّة ، وتحثُّ على اتخاذ مواقف إزاء كثيرٍ من القضايا ، ولكن على طريقة الرسومات الكاريكاتوريّة ، أي على طريقة السخرية اللاذعة التي تبدو أحياناً مُرَّة ، وتبدو أحياناً أخرى شديدة الحلاوة والمرح " . [1]

ويعرف أحمد حسن الزعبي الأدب الساخر بقوله : " الأدب الساخر أعرق أسلحة البشر وألطفها.. فهي سلاح الفقير على الغني والضعيف على القوي وسلاح المظلوم على الظالم .النص الساخر هو الخلطة السرية بين اللغة والمفردة والحكاية الشعبية واصطياد المفارقة في المشهد والخبر والحدوته ، سواء أكان هذا النص نكته شفوية أو نص ساخر مكتوب " [2] .

ويلاحظ في هذه التعريفات أنها وصف لطبيعة السخرية ووظيفتها وبعض تقنياتها ، فالسخرية سلاح الضعيف والمظلوم والفقير ، وهي تعري الواقع وتكشف قبحه ومساوئه كما تكشف جماله وحسناته .

والسخرية برأيي : هي تعبير عن انفعال نفسي يهدف إلى النقد المضحك الذي يقطر دماً ، للترفيه عن الأنفس ، والتنبيه على الشيء المنقود ، ويكون النقد لعيوب واضحة أو مخفية في مناحي الحياة الدنيوية ؛ اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها من أمور الحياة المختلفة .

أو هي : فن يهدف إلى محاولة تغيير الواقع بتعريته من عيوبه للتخفيف من وطأة هذه العيوب على المجتمع ، وللوصول إلى السعادة الإنسانية بطعم الانتصار على تلك العيوب .

أو هي فن أدبي هزلي يقوم على النقد المضحك أو التجريح الهازئ ، مستخدماً أساليب

---

1 – أبو نضال ، نزيه ، الساخرون ، تحت الطبع ، ص7 – ص12 .
2 – أبو نضال ، نزيه ، الساخرون ، تحت الطبع ، ص7 – ص12 .

ووسائط لغوية بلاغية مختلفة .

لقد لاحظنا أن لكل ناقد أو كاتب أو مختص بالأدب الساخر ؛ يجعل لنفسه تعريفاً من وجهة نظره الخاصة ، ونعود لنقول : إن أفكار السخرية ووظائفها متعددة ، ولا يمكن أن نجعل لها تعريفاً مخصّصاً ، غير أن هذه التعريفات تكاد تتفق على بعض المحاور ، كالنقد ومواجهة الواقع للحد من خطورته ، وكشف المستور وإصلاحه ، والتنفيس عن الشعوب المظلومة .

وتعد السخرية من أبرز أنواع الفكاهة وأرقاها ؛ لحاجتها إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر ، ولذلك عدت السخرية من أخطر أغراض الأدب العربي شعره ونثره ، وظلت موضع اهتمام الآداب المختلفة ، معالجة وممارسة وتأليفاً ، منذ أمد بعيد . [(1)]

وتختلف السخرية عن باقي أنواع الفكاهة في قصدها إلى أسلوب النقد واللذع والإصلاح بعكس الفكاهة التي تكون للضحك والإيناس فقط ، وعادة ما تجمع السخرية بين الضحك والنقد القائم على الإصلاح ، أي أن السخرية كفكاهة تحمل بين طياتها الضحك والمفاكهة ولكن مع إيصال الهدف الأساسي من السخرية ألا وهو النقد واللذع ومحاولة الإصلاح الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي وغيره من الأمور التي تحتاج لقلم رفيع ينقدها ويقوم على توجيهها لمسارها الصحيح .

وقد ناقش المؤلفون العرب طبيعة العلاقة بين الفكاهة والسخرية في الأدب؛ فقد ذهب شوقي المعاملي في كتابه " الاتجاه الساخر في أدب الشدياق " إلى أن الفكاهة جزء من أجزاء السخرية في قوله " والفكاهة قد تكون عنصراً من عناصر السخرية في شكل فكاهة " [(2)]

ويرى العقاد أن السخرية لون من ألوان الفكاهة وقسم من أقسامها ، أما أحمد الحوفي فوقف

1- انظر : طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص3 .

2- المعاملي ، شوقي محمد ، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق ، ص9 .

على الجذر اللغوي لكل من الفكاهة والسخرية في كتابه " الفكاهة في الأدب العربي " ، ودرس فيه الغفلة والتغافل والتناقض والتخلص الفكه والدعابة والمزاح والهزل والتهكم والسخرية واللعب المعنوي واللعب اللفظي [1]، على أن كلاً منها فكاهة ؛ لأنه يريد بالفكاهة كل باعث على الضحك وإن اختلفت المسميات والأسباب ، وقد سار في الاتجاه نفسه عدد من الباحثين المتأخرين مثل : محمد بركات حمدي أبو علي في كتابه: " سخرية الجاحظ من بخلائه " عبد الحليم محمد حسين في كتابه «السخرية في أدب الجاحظ» وعبد العزيز شرف في كتابيه " الأدب الفكاهي " ، و " الفكاهة عند نجيب محفوظ ".

ولعل هذا الاتفاق في أن السخرية نوع فكاهي نابع من علاقة السخرية والفكاهة بالضحك بشكل عام .

السخرية في القرآن الكريم :

السخرية في الإسلام منهي عنها بدليل قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [2]

النهي عن السخرية في الآية الكريمة واضح وصريح فلا يسخر رجال من رجال ولا نساء من نساء ؛ لما في ذلك من تقويض للمجتمع وهدم لعلاقاته ، ليجعله مجتمعاً ضعيفاً باهتاً ، ويتسم حينئذ بالحقد والانتقام والبغض والكراهية ، مما يشتت وحدته ويهدد أمنه ، ويريد الإسلام مجتمعاً تسوده الوحدة والمحبة والطمأنينة ، لذا يجب على المسلم أن ينأى بنفسه عن هذه السخرية .

1- الحوفي ، أحمد ، الفكاهة في الأدب ، أصولها وأنواعها ، 2001م ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، باختصار من أجزاء الكتاب .

2- سورة الحجرات ، 11 .

وقد ذكر لنا القرآن الكريم بعض المواقف التي استخدمت فيها السخرية ومن ذلك سخرية الكافرين من أنبيائهم بقصد الحقد وتمسكهم بالباطل ، قال تعالى : " وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَ لأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ " (1)

وقوله تعالى : " وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " (2)

اشتملت الآيتان على نوعين من السخرية ، الأولى سلبية والثانية ايجابية ، وترتكز السخرية السلبية على الباطل من خلال سخرية الكافرين من أنبيائهم ، أما السخرية الإيجابية المتمثلة بالحق ، فهي ترد على السخرية الباطلة الشريرة ، فالسخرية الأولى محرمة أما الثانية فلا شك أنها هادفة بردها على الباطل ، وكما سخر الكافرون من أنبيائهم ، سخروا من المؤمنين كذلك ، في قوله تعالى : " زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " (3)

والساخرون في هذه الآية مغرورون بأنفسهم ودنياهم ، ويرونها زينةً ومتاعاً ، ويسخرون من المؤمنين ، ويرد الله عليهم بأن المتقين هم أعلى منزلة في الآخرة .

وسخر الكافرون أيضاً من كتاب الله وآياته في قوله تعالى : " بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آَيَةً يَسْتَسْخِرُونَ " (4) .

فهم يسخرون من آيات الله ورسوله الكريم ، وهم يواجهون ضعفهم وعنادهم وجهلهم عن طريق استخدام أسلوب السخرية ؛ حتى لا ينقادوا لآيات الله ورسوله .

1- سورة هود ، 38 . 39 .
2- سورة الأنعام ، 10 .
3- سورة البقرة ، 212 .
4- سورة الصافات ، 12 ، 13 ،14 .

وترد السخرية في القرآن الكريم بصور عدة ، منها : التهديد ، قال تعالى : " بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " [1] ، والعذاب لا يبشر به ، وإنما التبشير هنا هو تهديد من الله تعالى للمنافقين ، ومن صورالسخرية أيضاً ، الاستخفاف بالعقل ، وذلك في قوله تعالى " قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " [2] ، والعاقل صاحب الفطرة السليمة لا يتمتع بشيء يؤدي به إلى الخلود في نار جهنم .

ومن الصور القرآنية في السخرية الإيعاد بلفظ الوعيد في قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) [3]

وقد استخدم القرآن الاستهزاء والاستخفاف في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام التي كان يعبدها قومه ، قال تعالى : " قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ " [4]

الاستخفاف بعقول قوم إبراهيم _ عليه السلام _ واضح وصريح ، ومع معرفتهم بأنه لا جدوى من سؤال صنم من الحجارة ، لا ينطق ولا يسمع ، إلا أنهم تمسكوا بموقفهم من عبادة هذه الأصنام ، والتثبت على الباطل ، فاستخف الله بهم وبتفكيرهم ، والقرآن الكريم مليء بالأمثلة التي اشتملت في مضمونها على السخرية ، سواء بلفظ السخرية أم صورها ومعانيها البلاغية .

ومن الملاحظ في معظم الآيات التي تناولت لفظ السخرية أو صورها ؛ أنها اشتملت على نوعين من السخرية ، الأولى سخرية الكافر _ الداعي إلى الباطل _ من الأنبياء والمؤمنين ، والسخرية الثانية هي المدافعة عن الحق التي تقف ضد الباطل وأتباعه من المنافقين والكافرين

1- سورة النساء ، 138 .
2- سورة الزمر ، 8 .
3- سورة الدخان ، 49 .
4- سورة التوبة ، 68 .

وشتان ما بين السخريتين ، إحداهما تدعو للشر والأخرى للخير .

وتختلف السخرية الأدبية عن السخرية المحرمة فالقصد من ورائها ليس الاحتقار والهدم بل إن السخرية في الأدب إذا عبر عنها جيداً ، أضحت سلاحاً قوياً في وجه الظلم والباطل ، وهي بهذا المعنى تخرج من دائرة التحريم ؛ لهدفها السامي في دفع الشر ورفع الضيق عن الناس والتسرية عنهم .

شخصية الساخر :

ليست السخرية بالأمر اليسير ؛ بحيث يستطيع كل فرد القيام بها والكتابة فيها ، فالأدب الساخر يتطلب مهارات وقدرات [1] ؛ حتى يحقق هدفها و يؤثر في المتلقي ، ومن هذه القدرات " قدرة الكتابة وقدرة النفاذ إلى مواطن الحقيقة وبواطن السلوك ، وقدرة الفكاهة الطبيعية " [2] .

ولعل وجود هذه القدرات لدى الساخر تجعله قادراً على إيصال موضوعه إلى القراء ، مما يؤدي إلى سرعة الاستجابة والتلقي ، ولا بد من أن تكون هذه اللوحة الأدبية مصاغة صياغة راقية ، من حيث حسن الأسلوب والتعبير ، وهي تعول كثيراً على كاتبها ، فكم من قصص ساخرة لم نلق لها بالاً ، وكم من أخرى تشوقنا في قراءتها ومتابعتها ، وهذا كله عائد لأسلوب الساخر في كتابته ، إذاً لا بد من اتصاف الساخر بالقدرة على صياغة العبارات ، والمهارة في صنع الصور الفكاهية الساخرة .

ولعل من أكثر الصفات التصاقاً بشخصية الساخر هي " الشعور بالتفوق والانتصار

1- انظر : السطوحي ، سها عبد الستار ، السخرية في الأدب العربي الحديث " عبد العزيز البشري نموذجاً " ،2007م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص56 .

2- فؤاد ، نعمات أحمد ، كتبت يوماً في الأدب ، " النقد ، الفكر ، الفن "، 1988 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص 175 .

والاستعلاء ، وما يدور في فلك الشعور بالعزة إزاء الموقف الذي يوجه فيه سخريته " [1] ، وتجسد طبيعة الاستعلاء هذه ؛ رغبة الساخر في تذوق طعم الانتصار الحقيقي على المسخور منه ، فلا بد أن تصاحب السخرية الشعور بالترفع والاستعلاء ، وقد يكون سبب الاستعلاء هو أن المسخور منه ظالم أو متجبر ، أو قد يتعالى على نقص أو حرمان في مجتمعه مثلاً ، ولكي يصل الساخر إلى ما يصبو إليه من سخريته ، يجب عليه حينئذ أن يتعالى حتى توتي السخرية ثمارها .

"

والسخرية بحكم أنها تعمد دائماً إلى قوة التصوير في إبراز نقائض المتهكم به وعيوبه ، وتجسيم هذه العيوب تجسيماً واضحاً أو مبالغاً فيه ، تجعل الساخر ومن يشاركونه موقفه يشعرون بأنهم أرفع من المتهكم به " [2] ، ولعل هذا الترفع يعطي النفس الثقة والقوة والانتصار .

وبالإضافة إلى صفة الاستعلاء ؛ هناك قوة الأعصاب ، ولا بد " أن يكون الساخر قوي الأعصاب ، يحمل في طياته روح اللامبالاة والمجون " [3] فعلى الساخر أن يكون معتداً بنفسه واثقاً من شخصيته القوية ، مسيطراً على موقفه ، وإلا فإنه يصبح ضعيفاً لا يستطيع مواجهة خصمه فيخضَع له ، بدل أن يُخضعه له .

ولعل من أبرز صفات الساخر الذكاء [4] ، فلا بد للساخر أن يتمتع بقدرة عالية من الذكاء بحيث يستطيع أن يصنع سخريته وفكاهته بصورة هزلية مرموقة ، معتمداً على خياله في التقاط المواقف والصور وتفريغها في قالب ساخر مضحك ، وهو بهذا الذكاء والخيال الهازل يسخر

1- حفني ، عبد الحليم ، أسلوب السخرية في القران الكريم ، 1987م ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص24

2- المرجع السابق ، ص21 .

3- طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص19 .

4- المرجع السابق ، ص 19 .

من خصمه ، ويضحك الناس منه ، فيتحقق بذلك هدفه النبيل الذي يسعى إليه .

أسباب السخرية :

ارتبطت السخرية بالفكاهة ، وتعد الفكاهة بما فيها من ضحك وترويح عن النفس عاملاً قوياً لأن يخرج الإنسان من حالة نفسية متعبة مجهدة إلى حالة أخرى تتسم بالارتياح والسعادة ولو لفترة وجيزة ، فالسخرية تحمل الإنسان على الترويح والترفيه عن نفسه .

وتؤدي السخرية في حياتنا النفسية دوراً هاماً ، من خلال تحقيقها نوعاً من التعويض الراقي [1] كما تحقق ضرباً من الهروب المؤقت من بعض مشاغل الحياة [2] ، ذلك أن السخرية بما تتيحه من كشف للمستور بشكل مضحك وساخر ، ينعكس على نفسية القارئ المنشغل في تحصيل الرزق ، وتعوضه عن النقص الذي يراه في السياسة والاقتصاد والمجتمع ، وكأنه يقف جنباً إلى جنب مع الكاتب وأفكاره.

وقد يكون دافع السخرية العبث والغرور ، فيتعالى الساخر على المجتمع وتناقضاته ومفارقاته مثلاً ، وقد ذكر ذلك العقاد في حديثه عن ملكة السخر عند المعري ، فقال : " مم يسخر الإنسان ؟ إنه ينظر إلى مواطن الكذب من دعاوي الناس فيبتسم ، وينظر إلى لجاجهم في الطمع وإعناتهم أنفسهم في غير طائل فيبتسم ؛ وهذا هو العبث وذاك هو الغرور ، فالعبث والغرور بابان من أبواب السخر " . [3]

وفي السخرية نقد لطبائع الناس وكذبهم ، وبما أن المجتمع أساسه هؤلاء الناس ؛ فإن السخرية تعمل على نقد المجتمع ، وتحاول تقويمه وإصلاحه من العيوب التي انتشرت فيه

1- انظر : شرف ، عبدالعزيز ، الأدب الفكاهي ، ط1 ، 1992 م ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، الجيزة ، ص 61 .

2- انظر : المرجع السابق ، ص 20 .

3- العقاد ،عباس محمود ، مطالعات في الكتب والحياة ، ط4 ، 1987 م ، دار المعارف ، القاهرة ، ص87 .

وتصبح السخرية حينئذ أداة إصلاحية تقويمية بيد الساخر ، وهذه الأداة التي تستعملها السخرية هي هدفها بالدرجة الأولى.

ومن هنا ، فالسخرية تتجه للمجتمع بهدف إصلاحه وتنقيته من العيوب ، وتحاول هدم بعض العادات أو الصفات الذميمة ، والنهوض بها إلى الأفضل ، ولعل شمول السخرية على الضحك والتفكه يجعلها قريبة من الناس فتؤثر بهم أكثر من غيرها .

وتعزز السخرية الثقة بالنفس ، فقد يلج أ إليها الساخر لتعزيز ثقته بنفسه ومن شانها أيضاً تقوية عزيمته في مواجهة الظلم الحاصل عليه من المجتمع وعاداتهم وأساليبهم ، وبعض أفراده الجاهلين ، والساخر إذ يوظف سخريته في هذا المجال ، ف إنه يقوم على أخذ حقوق المظلومين وتقوية عزائمهم في مواجهة الظلم الواقع عليهم .

ويعد أسلوب السخرية الأقرب إلى نفوس الناس وعقولهم ، لقدرته على التعبير عن أحلامهم وآمالهم الضائعة ، فهو متنفسهم من جانب ، ومساعد لهم على تحقيق التفوق والانتصار على الواقع الأليم الذي يعيشونه من جانب آخر .

وتتعدد أسباب السخرية لتصبح سياسية واقتصادية ، أما السياسية ،فلكل منطقة أو دولة مظاهر سياسية خاصة بها ، وقد تكون هذه المظاهر عامة مشتركة بين مجموعة من الدول يجمعهم دين واحد أو لغة واحدة أو حضارة ، كالدول العربية مثلاً ، ولعل أبرز باعث سياسي تناوله الأدباء هو القضية الفلسطينية ، وما حل بفلسطين من احتلال وتشريد وهدم للبيوت والعمران ، دون ردة فعل قوية للدفاع عن فلسطين وأهلها ، لتأتي المفارقة الكبيرة في تحول اليهود التائهين في شتى أنحاء العالم إلى يهود قاطنين في دولة عربية أسموها باسمهم ، وأصبحوا حكاماً عليها ، يسيطرون على خيرات البلاد وسكانهم وبيوتهم .

وأما السبب الآخر وهو الاقتصادي ، فيعد دافعاً قوياً للسخرية ؛ لأنه يمس فئات المجتمع عامة ، والوضع الاقتصادي السيء يجعل المجتمع في حالة صعبة مادياً و معنوياً ، عدا عن فرض الضرائب عليهم ، فيعيشون في واقع مرير ، وحرمان كبير جراء الأنظمة والحكومات الجائرة ، ومن هنا تحاول السخرية مواجهة هذا العبث والظلم ، وما ينتج عنه من صعوبة في أمور الحياة بأكملها .

أساليب السخرية :

تتعدد أساليب السخرية بحيث لا يمكن حصرها لكثرتها ؛ ولأن السخرية " تعبير حر فيه انطلاق وفيه قدرة على الصياغة ، واختيار ما يؤدي إلى الغرض " [1] ، وهو غرض سامٍ تتنوع في ه الأساليب التي تعطي السخرية رونقاً خاصاً بها ،" فليس هناك ضوابط حتمية للأسلوب الساخر إلا ما يثيره هو بمجموعه " [2]

يعتمد الساخر في التعبير عن السخرية على خياله الذي ينتقي من أساليب السخرية ما يراه مناسباً ؛ منوعاً فيها أو مركِّزاً على أساليب معينة ، ويعود ذلك لذوقه في التنوع الأسلوبي والبلاغي ، وللذكاء الذي يتصف به الساخر أثر بالغ الأهمية في اختيار الأساليب وتنوعها .

والساخر يملك قدرة على الصياغة ؛ لاستخدامه أساليب مختلفة ومتعددة في سخريته بحيث لا يمكن إحصاؤها أو عدها ، و هي معرضة دائما لابتكار العقول المبتكرة ، " بحيث لا يمكن للبلاغي حصرها في اصطلاحات ضيقة فمثلها كحروف الهجاء في أية لغة من اللغات: يمكن للإنسان اشتقاق آلاف الألفاظ منها، والتعبير بها عن آلاف الأحاسيس فتكون طيعة في يده

1- الهوال ، حامد ، السخرية في أدب المازني ،1982 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص40 .

2- الهوال ، حامد ، المرجع السابق ، ص40 .

يستخدمها كيف يشاء " [1]

إذن ، للسخرية أساليب كثيرة تختلف وتتنوع من كاتب ساخر إلى آخر ، ومع ذلك فقد استعملت بعض الأساليب وبرزت واشتُهرت عن غيرها من الأساليب ، ومنها :

الرد بالمثل : وهو أسلوب يقوم على التبادل ، ويكون الرد على الرد الأول أبلغ وأشد سخرية ويتطلب الرد صفة الذكاء وسرعة البديهة حتى يصبح أبلغ وقعاً ، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب : " قال يهودي لعلي بن أبي طالب _ كرم الله وجهه _ مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم ؟ فقال علي : وأنتم لم تكد أقدامكم تجف من البلل حتى قلتم : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة " [2] .

يتضح في هذا المثال الرد القوي الذي يسكت من بدأ بالكلام وهو صاحب القول الأول ، ففي البداية حاول اليهودي إحراج علي بن أبي طالب والسخرية منه ، لكن علياً _ كرَّم الله وجهه _ رد عليه برد أفحمه وأصمته ، ومن هنا تظهر أهمية هذا الأسلوب في السخرية .

اللعب بالألفاظ :

وهو يكون بإبدال حرف بحرف من كلمة أو كلمة بكلمة [3] ، " ويعتمد على الإشراك المعنوي في اللفظ الواحد أو على الجناس أو الطباق " [4] ومن الأمثلة على اللعب بالألفاظ :

قال الجاحظ : " قلت لغلامي نفيس : بعثتك إلى السوق في حوائج فاشتريت ما لم آمرك به ،

1- طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص47 .

2- الأبشيهي ، شهاب الدين ، المستطرف من كل فن مستظرف ، المكتبة التجارية الكبرى ، بغداد ، ج1، ص 58 .

3- حسين ، عبدالحليم ، السخرية في أدب الجاحظ ، ط 1 ،1988 م ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ، ص 181 .

4- الهوال ، عبده ، السخرية في أدب المازني ، ص 41 .

وتركت كل ما أمرتك به ! قال : يا مولاي ، أنا ناقة وليس في ركبتي دماغ " [1] .

وقد يكون اللعب بالألفاظ عن طريق التقديم والتأخير كقول الجاحظ : " قلت لخادم لي : في أي صناعة اسلموا هذا الغلام ، قال : في أصحاب سند نعال ، يريد : في أصحاب السند النعلية " [2] وقوله : " قال نفيس لغلام لي : الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل ! يريد : أنت أقل الناس كلهم حياء " [3] .

اللعب بالمعاني :

وهو يقوم على اللعب والتغيير في المعاني ليصل إلى السخرية والفكاهة ومن أنواعه :

* **الكناية :** " هي أن تتكلم بشيء وتريد غيره وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية : يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه كالرفث والغائط " في القران الكريم ،وهي " التعبير بجملة أو جمل يراد بها معنى آخر مرتبط بالمعنى الأصلي " [4] ومن الأمثلة قولك " فلان طويل النجاد" أي أنه طويل القامة ، فقد كني عن طول القامة بطويل النجاد ، ويستعمل الساخر الكناية للتخفي وراء المعنى ، كالمتسول الذي يسأل الناس المال وغيره بالقول : فلان يده ممدودة .

وفي الكناية ينتفي التصريح بالذكر وإنما يتخفى المعنى الحقيقي وراء الألفاظ مما يجعل ها قريبة من السخرية ، والتعبير عنها .

** **التورية :** وهي تعبير اللفظة عن معنيين أحدهما قريب والآخر بعيد وهو المراد من اللفظة ، ففي توقع المعنى القريب إضحاك ؛ لأن السامع متوقع للمعنى القريب ، فتحدث المفاجأة

1- الجاحظ ، عمرو بن العلاء ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط7، 1998 م، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 4 ، ص 26 .

2- الجاحظ ، عمرو بن العلاء ، البيان والتبيين ، ج 1، ص 162 .

3- المرجع السابق ، ج4 ، ص 26 .

4- لسان العرب : مادة كنى .

والإثارة في تغيير المقصود من الكلمة ، وتبدأ المغالطة من المتكلم ، ويظهر المعنى البعيد الذي أحدث نوعاً من الخداع ، ومن الأمثلة على التورية :

– وقف أعرابي على قوم يسألهم ، فقال للأول ؛ ما اسمك ؟ قال : مانع . وقال للثاني : ما اسمك ؟ قال : مُحْرز . وقال للثالث : ما اسمك ؟ قال : حافظ . قال : قبّحكم الله ، ما أظن الأقفال إلا من أسمائكم . [1]

***التعريض : وهو الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه وإنما يقصد معنى آخر ، ويختلف عن الكنايه أن ليس بين المعنيين تلازم بعكس الكناية ، فإذا قيل لشخص ليس عنده كفاءة : (أخذ القوس باريها) ، فهذا تعريض ، والقول لمن يجلس إلى رجل يفعل الآثام : (أنا أجلس بجوار نقي الثوب) فنقي الثوب كناية عن الطهارة وهي تعريض بالآثم في نفس الوقت [2] .

– **الهزل الذي يراد به الجد** : وهو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج عن ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال ، ومنه قول أبي نواس :

إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخراً فقل   عدِّ عن ذا كيف أكلك للضبِّ [3]

– **المبالغة والتهويل والتصوير الكاريكاتوري** ، تبدو السخرية في هذا التصوير والمبالغة في الوصف جلية ، كأن يبالغ في وصف غباء فلان أو وصف أنفه أو جهله ....

---

1 – الأبشيهي ، شهاب الدين ، المستطرف من كل فن مستظرف ، ج 1 ، ص59 .

2– الثعالبي ، أبو منصور ، الكناية والتعريض ، تحقيق عائشة حسين فريد ، 1998م ، دار قباء ، القاهرة ، ص103

3– أبو نواس ، الحسن بن هانئ ، ديوانه ، 1980م ، دار صادر ، بيروت ، ص90 .

- **تجاهل العارف** : وهو أن يرى المتكلم العالم بالشيء جهله به ويقوم على سؤال يعرفه تماماً ولكنه يطرحه لإنشاء السخرية ومن ذلك قول زهير بن آبي سلمى ساخراً من قوم آل حصن :

وما أدري ، وسوفَ إخال أدري　　أقوم آل حصن أم نساء ؟

وتتعدد الأساليب التي يعبر بها عن السخرية وقد تطرقت لبعض هذه الأساليب على وجه المثال لا الحصر .

السخرية في الأدب العربي القديم

تزخر الآداب العربية القديمة بألوان الفكاهة والسخرية ؛ لأنهما طريق حياة وتحد لمصاعب الحياة المختلفة ، وبما أن الإنسان مخلوق ضعيف فهو معرض للمتاعب والظلم والانتهاز والبطش ، وما يتعرض له من صراعات ومنافسات وقضايا تحدد مصير حياته .

فجاءت السخرية لتساعده على قهر الخصم وانقياده له ، حتى لو لم يحصل ذلك فقد أجدى بسخريته إلى نفسه وحصن نفسه من الخضوع والانقياد ، وللسخرية أثرها البارز في نفسية الساخر من حيث إراحتها لنفسيته وتخفيف وطأة المعاناة التي يتلقاها .

ولأن سعادة الإنسان في فكره وحريته ، فقد سخر الإنسان طاقاته العقلية والفكرية من خلال السخرية والفكاهة ليذوق طعم السعادة وينأى بنفسه عن المشقة والخضوع والانكسار ، وبهذا المعنى لم تتجاوز السخرية أي عصر إلا ووجدت فيه تاركة بصمة قوية على رقيها وقوتها وفعاليتها .

إذن ، " فالسخرية قديمة قدم الإنسان ، لأنها قد تكون ترويحاً عن النفس أو تسرية عن القلب ، أو استنكاراً لما يقع ، أو هزءاً وتندراً بالخصم " [(1)] ، ولعل أكثر دليل على أن السخرية موغلة في القدم ، هو سخرية قوم سيدنا نوح منه ، عندما أمره الله بصنع السفينة ، ويجمع فيها من كل زوجين اثنين ، فقالوا مستهزئين : يا نوح ، قد كنت بالأمس نبياً ، وأصبحت اليوم نجاراً فأجابهم بالوعيد والعذاب جزاءً لطغيانهم وسخريتهم [(2)] ، قال تعالى : " وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ " [(3)] .

1- عبدالحليم ، حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، ص 64 .

2- انظر : المرجع السابق ، ص64 .

3- سورة هود ، 38 ، 39 .

وقد أخذت السخرية حيزاً ومكاناً في الطبيعة البشرية ، فقد استخدمت الصور المضحكة الهازئة منذ القدم [1] ، من خلال رسمها أو نقشها ، فأصبحت فناً تمارسه الأمم القديمة كالمصريين والإغريق والرومان والهنود والوثنيين والمسيحيين " [2] .

وسأحاول في هذه الصفحات تقديم لمحة عن الأدب الساخر في الأدبين العربي والغربي ، قديمه وحديثه .

ونبدأ بالعصر الجاهلي ، فقد عرف السخرية الأدبية ، وإن كانت قليلة قياساً بالعصور الأخرى ، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة العربي الجاهلي في سرعة انفعاله وغضبه ، بينما يتصف الساخر بضبط أعصابه وانفعالاته .

وقد تعود قلة السخرية " إلى الصفات التي تميز بها العربي ، كالتزامه بالصراحة في التعبير " [3] ، وإلى قلة الموروث النثري الذي وصلنا، لذلك ، ولم تصل السخرية في هذا العصر إلى المستوى الرفيع الذي وصلت إليه في عصور متأخرة ، ولعل ذلك يعود إلى الأسباب الآنفة الذكر ، فضلاً عن طبيعة الحياة الجاهلية القائمة على التفاخر بالقبيلة وإعلاء منزلتها وقيمتها ، مما جعل أشعارهم تنحصر في مواضيع الفخر والتمجيد بالإضافة إلى أشعارهم في النزاعات والحروب التي انشغلوا بها جسدياً ونفسياً ، وقد نشأ معظم الشعراء الجاهليين في بيئة تتسم باللهو والترف ، مما أثر ذلك على أشعارهم التي اتسمت بالغزل والغناء أيضاً [4] .

لقد أسفرت طبيعة الجاهلية وبيئتها الثائرة عن بعد شعرائها عن المعنى الخفي للسخرية ،

1- انظر : طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص 53 .
2- المرجع السابق ، ص 53 .
3- بوحجام ، محمد بن قاسم ناصر ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925 - 1962) ، ط 1 ، 2004 م ، نشر جمعية التراث ، الجزائر ، ص 39 .
4- انظر : المرجع السابق ، ص 39.

وكانت أغلب أشعارهم التي تحمل بين طياتها نوعاً من السخرية ؛ على شكل هجاء لاذع ، مبتعدة بذلك عن روح السخرية الحقيقية ، وقد وردت في أشعارهم ألفاظ تشير إلى السخرية ، لكن قلة شيوعها في أدبهم وأسلوبهم المباشر في التعبير عن السخرية حال دون جعلها ظاهرة واضحة في أدبهم .

ومن الأمثلة على السخرية عندهم ، قول الأعشى ساخراً بكسرى :

فاقعد ، عليك التاج مُعتَصِباً به لا تطلُبَنَّ سوامنا ، فتعبَّدا [1]

ففي كلمة اقعد هجاء لاذع ، والأعشى هنا يسخر من كسرى وجيوشه ، وبأنهم سوف يهزمون ولن يستطيعوا مجاراة العرب ، ويبدو من هجاء الأعشى أنه ابتعد به عن المواجهة المباشرة المتمثلة بالغضب والشتم والسب ، وإنما بالسخرية والتهكم والاستهزاء [2] .

ومع ذلك فالسخرية في أدبهم لم تصل إلى حد التعمق والكثرة والإبداع ، وقد تعود قلة السخرية في أدبهم إلى قلة الموروث النثري الذي وصلنا .

أما السخرية ففي عصر النبوة ، فقد تحدث عنها القرآن في المواقف العدائية التي كانت من المنافقين والكافرين للرسول والمسلمين ، فقد كانوا يسخرون من الرسول ومن آمن به قال تعالى : " وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ " [3]

ومن مواقفهم أن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ كان يضيق صدره من أعمال الكفار

---

1 – انظر : بوحجام ، محمد ، السخرية في الأدب الجزائري ، ص 40 .

2– انظر : ضيف ، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ط 24 ، 2003م ، دار المعارف ، مصر، ص 352 .

3– سورة البقرة ، الآية 14 .

ومواقفهم الباطلة ، والأمثلة التي ذكرها القران من سخرية واستهزاء كثيرة ، ومما يدل على أهمية السخرية وشدة وقعها وتأثيرها ؛ أن الله يرد على هؤلاء المستهزئين الساخرين في أكثر من آية ومن ذلك قوله تعالى راداً لسخريتهم ، وداحضاً لهم : " اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " [1] لقد ورد في القرآن أمثلة كثيرة تدل على أهمية السخرية في الوقوف إلى جانب الحق ومجابهة الباطل ودحضه ، فكان الهدف منها إيجابياً .

أما في الشعر ، فقد كان لمجيء الإسلام أثره البالغ في إحداث التغيير على الشعر وأنماطه التي تخالف الإسلام ، فحث الناس على الابتعاد عن الشعر المقذع ، والتحلي بالصفات الإسلامية ، وتجنب إيذاء الآخرين ، فأصبح الهجاء الساخر يحمل هدفاً أسمى مما كان عليه في الجاهلية ، وللتدليل على ذلك ؛ أن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ دعا حسان بن ثابت حتى يهجو شعراء قريش ويسخر منهم ؛ بسبب سخريتهم وعدائهم للرسول ورسال ة الإسلام فوقوف حسان ضد هؤلاء الشعراء يجعل من شعر الهجاء والسخرية رسالة دعوية ، تقف في وجه الباطل وتنصر الحق والإسلام والمسلمين .

لقد كان أثر الإسلام واضحاً على نفوس الشعراء الّذين أسلموا ، فابتعدوا بألفاظهم وشعرهم عن السب والشتم والإيلام ، واتجهوا إلى الألفاظ الحسنة ، وممن برع في السخرية الحطيئة ، الذي قال ساخراً من الزبرقان :

دع المكارمَ لا ترْحلْ لبُغيتِها واقْعدْ فإنّك أنتَ الطاعمُ الكاسي [2]

ويلاحظ من هذا المثال بعد الشعر عن الألفاظ الجارحة والتوجه إلى الألفاظ الحاملة معاني مخفية التي تحمل شيئا من السخرية ، ودليل ذلك أن الزبرقان عندما شكا الحطيئة إلى عمر بن

1- الأنعام ، الآية ، 10 .

2- الحطيئة ، ديوانه ، شرحه حمدو طمّاس ، ط2 ، 2005م ، دار المعرفة ، بيروت ، ص86 .

الخطاب ، " قال عمر لحسان : ما تقول أهجاه ؟ وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان ولكنه أراد الحجة على الحطيئة ، قال : ذرق عليه " [1] ، أي أنه لم يهجه " بل سلح عليه " [2] وتعرض له دون فحش أو سب .

ولا ننس الفكاهة التي اتصف بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، وذلك – من خلال مزاحه مع أصحابه .

وفي العصر الأموي ظهرت السخرية كما في العصور السابقة ؛ لكنه تطور تطوراً من نوع آخر نتيجة للأوضاع التي شابت هذا العصر من تطور للسياسة ، وما رافقها من عودة الفتن بين القبائل ، ونشوء الأحزاب ، فدخل الشعر في السياسة ، وأصبح الهجاء قاعدة التهكم السياسي الأساسية .

وظهرت العصبيات القبلية ، فشاع الهجاء القبلي والشخصي بين الشعراء ، وظهرت النقائض وكان أبرز أعلامها جرير والأخطل والفرزدق ، وظهرت المساجلات بينهم وبقوا يسخرون من بعضهم اشد سخرية حتى وصلت أبياتهم المئات ، ومن أشعارهم الساخرة قول جرير ساخراً من قوم الفرزدق :

فما صدق اللقاءَ مجاشعيّ وما جَمَعَ القناةَ مع اللجامِ

تُولّونَ الظهورَ إذا لُقِيتُمْ وتُدنون الصدورَ مع الطَّعام [4]

وقال هاجياً بني النمير وشاعرهم الفرزدق :

1–الجمحي ، ابن سلام ، طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ،ط1، د. ت ، مطبعة السعادة ، مصر، ص41

2– طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ص 24 .

3– جرير ، ديوانه ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، ط 3 ، د.ت ، دار المعارف ، القاهرة ، ج2، ص510 .

ولو وُزنت حلومُ بني نُمَيرٍ على الميزانِ ما وَزنَتْ ذُباباً

فُغضَّ الطرْف إنّك من نميرٍ فلا بكْراً بَلَغْت وَلا كِلاباً [1]

ومن الشعراء الّذين اشتهروا بالسخرية اللاذعة ؛ الأخطل فقد وصف كلبياً بالحقارة وسخر منها قائلاً :

قومٌ إذا استنبحَ الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار [2]

وممن اشتهر بالفكاهة في هذا العصر " أشعب بن جبير " ، الذي كان يتفكه ويسخر بشدة من أي شخص يريده ، ومن هنا لقد كانت السخرية حاضرة في العصر الأموي ، فانتشر الهجاء القبلي والهجاء الفردي لشخص بعينه كما جاء في النقائض ، وكان الهجاء ساخراً مضحكاً من جهة ، ومقذعاً فاحشاً من جهة أخرى ، وتطورت السخرية بظهور النقائض التي استمرت بين جرير والأخطل والفرزدق حوالي نصف قرن .

وفي العصر العباسي تغيرت الحياة ، وانتشرت العلوم بقوة ، وامتزجت الشعوب العربية بشعوب أخرى ، واتصلت الثقافة العربية بالثقافات الأخرى ، فظهر " الصراع الداخلي بين العنصرين العربي وغير العربي " [3]

وشاع في هذا العصر المجون والترف والزندقة وبعض الصفات الذميمة التي جاءت جراء الحرية التي سادت هذا العصر ، مما أدى إلى ظهور السخرية الاجتماعية التي قامت على النيل من المبادئ الأساسية في المجتمع ، وذلك حسب فهم كل شاعر أو ساخر للمجتمع والحياة [4] .

1- الصاوي ، محمد اسماعيل ، شرح ديوان جرير ، ط 1 ، د.ت ،ا لمكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ص 74 - 75. 2- الأخطل ، ديوانه ، شرح وتعليق : مهدي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1994م ، ص166 .

3- بوحجام ، محمد ، السخرية في الأدب الجزائري ، ص 57 .

4- المرجع السابق ، ص58 .

لقد أصبحت السخرية في العصر العباسي أكثر رقياً من العصور السابقة ؛ لتعدد أنواعها ، فنجد السخرية القائمة على الحكمة أو السخرية الحكيمة كما فعل ابن المقفع في كتابه كليلة ودمنة ، الذي جمع فيه السخرية والعقل الحكيم ، للنقد بهدف النصح والإرشاد .

وقد كثر الساخرون في هذا العصر ، نذكر منهم : ابن المقفع ، أبو دلامة ، بشار بن برد أبو الشمقمق ، أبو نواس ، سهل بن هارون ، دعبل الخزاغي ، الجاحظ ، أبو الطيب المتنبي ، بديع الزمان الهمذاني ، ....

ولعل أبرزهم الجاحظ ؛ الذي أسس لنفسه مدرسة في السخرية ، وحملت مؤلفاته الفكاهة والسخرية والضحك والنقد ومنها البخلاء ورسالة التربيع ؛ التي وصف فيها أحمد بن عبد الوهاب وصفاً " كاريكاتورياً ساخراً " . [1]

وقد سخر الجاحظ في مؤلفاته من البخل والحمق والجهل والنفاق والخوف والجبن والجحود ونكران الجميل ، كما سخر من العيوب الجسمية والمظهرية .

وممن برع في النثر أيضاً ؛ بديع الزمان الهمذاني في مقاماته التي جعل لها بطلاً وراوياً يتحاوران ليصلا إلى نهاية مضحكة ساخرة ، وأغلب هذه المقامات تقوم على الكدية .

أما في الشعر فكان رائد الشعر الساخر في العصر العباسي ابن الرومي ، فقد سخر من نفسه ومن شكله القبيح ومشيته المتأرجحة . وقد كثرت المواضيع التي تناولها الشعراء بالسخرية في العصر العباسي ومن ذلك وصف اللحى والسخرية منها ، كما في قول البهاء زهير :

وأحمق ذي لحيةٍ كبيرةٍ منتشرة

تباً لها من لحْيةٍ كبيرةٍ محتقرة [2]

1- حسين ، عبدالحليم ، السخرية في أدب الجاحظ ، ص 11 .

2- زهير ، بهاء الدين ، ديوانه ، 1981 م ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ص161 .

من الواضح أن السخرية في العصر العباسي قد تطورت تطوراً ملحوظاً ؛ فقد كثر الذين كتبوا في السخرية ، وأصبحت السخرية فناً قائماً بذاته ، وألفت فيه كتب بعينها ؛ ككتب الجاحظ مثلاً ، وكانت السخرية في هذا العصر جلية واضحة ، ولعل ذلك عائد إلى عوامل كثيرة ساعدت على ذلك .

وأما بالنسبة للأدب الأندلسي فلم يخل من السخرية ، فرسالة التوابع والزوابع لأبي عامر بن شهيد والرسالة الهزلية لأبي الوليد بن المخزومي خير دليل على ورودها في هذا العصر .

واستمرت السخرية كذلك في العصر المملوكي والعثماني ؛ كأبي الحسين الجزار والإمام شرف الدين البوصيري وابن سودون في كتابه " نزهة النفوس ومضحك العبوس " .

السخرية في الأدب العربي الحديث

عرف الأدب العربي الحديث _ كغيره من العصور السابقة _ السخرية التي تطورت تطوراً كبيراً في الأقطار العربية كلها ، ويعزى انتشارها إلى بعض العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومن هذه العوامل :

* سيطرة الاستعمار البريطاني والفرنسي ، وتقسيم الدول العربية وبث الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة ، مما جعل الأمة تعيش في أوضاع متردية .

* احتلال فلسطين وما لاقاه أهلها من تشريد وقتل .

*السير وراء الحضارة الغربية بشكل سلبي ؛ مما أثّر سلبياً على من انغمس فيها .

هذه بعض العوامل التي تعبر عن طبيعة هذه المرحلة وتطوراتها ، وكان لهذه العوامل أكبر الأثر في انتشار السخرية في الدول العربية ، والكتاب فيها كثيرون ، فمنهم من تميز وعرف بأسلوبه الساخر ، نذكر منهم : عبدالعزيز البشري ، عبدالقادر المازني ، ، حافظ إبراهيم ، أحمد فارس الشدياق مارون عبود ، زكريا تامر ، محمد الماغوط ، محمد البشير الإبراهيمي ، محمود بيرم التونسي ، أحمد حسن الزعبي ، ....

وقد طالت السخرية في العصر الحديث الأجناس الأدبية كلها ، من شعر ونثر ، وه و ما يشير إلى ازدهار فن السخرية وتميزه في العصر الحديث ، عن غيره من العصور ، ويعود ذلك للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي طرأت عليه .

ومن مظاهر تطور السخرية في العصر الحديث ظهور مؤلفات كثيرة خصصت لدراسة السخرية والفكاهة في العصور القديمة والحديثة ، وتعد هذه الدراسات تسجيلاً وتصويراً لظاهرتي الفكاهة والسخرية عند من وظفها في أدبه ، وقد كثرت المؤلفات التي كتبت عن السخرية والفكاهة ، ومنها على سبيل المثال :

- الأدب الفكاهي لعبد العزيز شرف .
- الفكاهة في مصر لشوقي ضيف .
- سيكولوجية الفكاهة والضحك لزكريّا إبراهيم .
- السخرية في الأدب العربي لنعمان محمد أمين طه .
- السخرية في الأدب الجزائري الحديث لمحمد بوحجام .
- أدب الفكاهة في لبنان لمحمد فرشوخ .

ومن الكتب التي خصصت لدراسة السخرية عند مؤلف بعينه :

- السخرية في أدب الجاحظ لعبد الحليم محمد حسين .

- الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود لسيمون بطيش .

- الاتجاه الساخر في أدب الشدياق لشوقي المعاملي .

- شعر التهكم والسخرية عند حافظ وطوقان لمحمد منصوري .

- السخرية في أدب المازني لحامد الهوّال .

- السخرية في الأدب العربي الحديث ، عبد العزيز البشري نموذجاً، سها السطوحي .

- السخرية في مسرح انطوان غندور لسوزان عكاري .

وبالإضافة إلى هذه الكتب والمؤلفات ، نجد اهتماماً كبيراً بالسخرية من خلال ظهور المجلات الفكاهية الهزلية الساخرة ؛ وعلى سبيل المثال ؛ ظهرت في مصر صحيفة " أبو نظارة " لصاحبها يعقوب صّنوع ، وفي لبنان ظهرت صحيفة " هبّت " لصاحبها خليل كامله [(1)] ، وفي الأردن ظهرت صحيفة " عبدربه " ليوسف غيشان .

واستمرت السخرية في التطور حتى غدت أسلوباً يمتاز به بعض الكتاب عن غيرهم ، ودخلت الفكاهة والسخرية في العصر الحديث من أوسع الأبواب إلى التلفاز من خلال المسرحيات والأفلام المتنوعة ، كما أخذت السخرية حيزاً كبيراُ في المجلات والصحف ؛ فلا تكاد تخلو صحيفة من كاتب يسخر ويقوم على نقد السلبيات ، ومحاولة إصلاح أوضاع المجتمع وأحواله وتسلط المسؤولين عليه .

إذن ، فقد كان للسخرية حضورها اللافت في الأدب العربي الحديث وما زال الكتاب الساخرون في ازدياد ؛ لأن السخرية تتناسب طردياً مع تغيرات الحياة المختلفة ، ولأن السخرية في الأصل تهدف إلى تعرية الواقع ووضعه أمام الحقيقة والنقد والإصلاح .

---

1 – فرشوخ ، محمد ، أدب الفكاهة في لبنان ، ط1 ، 1989م ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ص82 .

السخرية في الأدب الغربي

اتسمت بعض مؤلفات هذا الكتاب الغربيين بالسخرية اللاذعة وكانت السخرية حاضرة في المسرح الإغريقي ، فنجد أرستوفانيس في " الضفادع " " التي حفلت بالنقد الساخر والمفارقات " [1] وهوميروس في الإلياذة والأوديسا ، وتزخر هذه المسرحيات بالنقد اللاذع لبعض أنماط الحرب والحياة التي كانوا يعيشونها.[2]

ففي مسرحية أجاممنون لأسخيليوس " تتغنى الجوقة في سخرية مسرحية رقيقة بالويل الذي نزل على مدينة طروادة بسبب امرأة ، وتشير إلى ما سيحل بهذا القصر وساكنيه :

إنما تنبت الويلات من الإثم كما ينبت الزرع من البذرة :

بينما الحق في البيت الشريف لا ينبت غير شبيهه

خطيئة ماضية أو جريمة قديمة .

توجد اللعنة الشابة التي تعربد في شقوتنا

بل وتصنع الظلمة من الضياء

إنها شيطان خطير ، إنها عدو لا يُرى ولا يُقهر

فهي وليدة الخطيئة والويل ، لها وجه كوجه أبويها " [3] .

وتتابع ذكر السخرية في العصر الروماني من خلال المسرحيات ، التي كانت تقليداً عن الإغريق ، فقد عبر الشعراء في ذاك العصر تعبيراً ساخراً لبعض العادات والمظاهر الموجودة

1- عكاري ، سوزان ، السخرية في مسرح انطوان غندور ، 1994م ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس ، لبنان ، ص 49 .

2- انظر : فوزي ، هانم محمد ، فن الساتورا : دراسة في الأدب الساخر عند الرومان ، 2002 م ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ص 25 .

3- انظر : المرجع السابق ، ص 41 .

في عصرهم ، وقد ظهر كتاب مثل إينوس ، وهو أول من جمع أشعاراً في كتاب واحد اسماها "ساتوراى " ، وتعني الأدب الساخر ، كما فعل ذلك لوكيليوس في جمعه لأشعاره [1] .

وظهرت السخرية في عصر النهضة ، وظهر كتاب كثيرون لمواجهة العبث والتحولات التي طرأت على المجتمعات الغربية ، ولعل من أفضلهم الفرنسي موليير الذي ألف كتباً عديدة تتميز بالسخرية والتهكم ، وقد استخدم السخرية في مواجهة الانحرافات التي ظهرت في عصره ، فقد سخر من النبلاء وفضح غرورهم وزيفهم وكذبهم ، كما صورهم في صور هازئة ، ومظاهرهم البرّاقة الخادعة ، ومن مسرحياته التي اتصفت بالسخرية والكوميديا :

* البخيل .

** كاره البشر .

أما في العصر الحديث ، فقد برزت السخرية عند مؤلفين كثر ، وكان أبرز من مثل السخرية وانتهجها في مؤلفاته " برنارد شو " ، الذي لجأ إلى الهزل والإضحاك في أعماله المسرحية ، كما حاول نشر البهجة بين الناس ، وكانوا يتابعون مسرحياته للتخلص من هموم الحياة وأحزانها ، وهو يسخر دون الخوف من رقيب أو حاكم ، ففي مسرحيته " الأسلحة والإنسان " يسخر برنارد شو من الجنود حملة الأسلحة الذي لا همَّ لهم سوى النوم والأكل والنساء ، وما مظاهر الحياة العسكرية عنده إلا أكاذيب ومبالغات تثير الضحك ، وقد استطاع بحسه الساخر أن يوظف السخرية ويشتهر بها ، ومن مؤلفاته أيضاً :

- كانديدا .
- رجل القدر .

---

1 – انظر : شرارة ، عبداللطيف ، برناردشو : العقل الساخر ،1956 م ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ، ص167 .

- لن تستطيع أبداً أن تقول [1] .

ومن خلال هذا العرض للسخرية في الأدبين العربي والغربي ، وجدنا أن السخرية في العصور القديمة قليلة ونشطت في فترات متقاربة ، فعند العرب تطورت في العصر العباسي شعره ونثره مثلاً ، وكلما مر الزمن كثرت الكتابة الساخرة ، ويظهر كتاب وأدباء جدد يحملون على عاتقهم رسالة السخرية ويوظفونها لصالح شعوبهم وأبناءهم .

وقد يعود تطور السخرية وانتشارها بشكل أكبر في العصور الحديثة إلى طبيعة التغيرات السياسية والاقتصادية التي يعيشها العالم ، بجانب ظهور فنون أدبية لم تكن موجودة ، كالمقالة والقصة والرواية ولا ننسى ما تتيحه الشبكة العنكبوتية من انتشار لهذا الفن في أوساط المجتمعات كافة ، ولعل أهم ما تتصف به شبكة الانترنت أنها لا تضع قيوداً على الكتاب الساخرين ، بعكس بعض دور النشر أو الصحف اليومية .

1 – شرارة ، عبداللطيف ، برناردشو ، ص 167 .

الفصل الأول

المقالة الصحفية في الأردن .

المفهوم : المقالة والمقالة الصحفية

تعود لفظة المقال والمقالة إلى مادة (القول) :

قال يقول قولا ، قيلاً قولة ، مقالاً ، مقالة ، والمقول : اللسان ، ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منها [1] ، ومنه قوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) [2]

وقد تطورت المقالة تطوراً ملحوظاً ؛ حتى غدت تتسع لكل شيء في هذا الوجود من خلال التعبير عن معارف وعواطف وأفكار مهما كان موضوعها ، سواء كان اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو فلسفياً ، وقد تكون المقالة مؤلفة في نقد نص أدبي ، وقد تعبر عن تجارب شخصية عاشها كاتب المقالة أو أحداث جارية يعيشها المجتمع ، تظهر فيه وتؤثر عليه .

إذن ، فمجالات المقالة وموضوعاتها التي تكتب فيها واسعة ، فالكاتب يعبر عن انفعالاته ووجدانه ورؤيته الخاصة ، وقد يستعمل الكاتب أساليب مناسبة ينتقيها لإقناع القارئ وجذبه للنص المكتوب ، كطرح الأسئلة والأدلة المقنعة والجدال المبني على حقيقة .

أما بالنسبة للمقالة وتعريفها ، فمن الصعوبة بمكان إيجاد تعريف شامل لها ، ويقر ذلك محمد يوسف نجم ، بقوله : " وإذا ذهبنا نبحث عن تعريف جامع للمقالة ، أعيانا البحث ، وضلت بنا سبله ، شأننا في ذلك شان النقاد الذين عجزوا عن أن يحيطوا هذا الفن الأدبي بتعريف دقيق نظراً لتشعب أطرافه واختلاطه بالفنون الأخرى على صورة من الصور " [3]

1- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : قول .

2- سورة فصّلت ، الآية 33 .

3- نجم ، محمد ، فن المقالة ، ط4 ، 1966 م ، دار الثقافة ، بيروت ، ص 93 .

وقد أورد نجم بعض التعريفات لكل من : جونسون وموري و أدموند جوس [1] ، وخلص إلى تعريف شامل لهذه التعريفات في قوله :

" إن المقالة الأدبية ، قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة ، خالية من الكلفة والرهق ، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب " [2]

ونرى سيد قطب قد عرفها بأنها : " فكرة قبل كل شيء ، وموضوع ، فكرة واعية ، وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها ، قضية تجمع عناصرها وترتب ؛ بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة ، وغاية مرسومة من أول الأمر ، وليس الانفعال الوجداني هو غايتها ، وإنما الاقتناع الفكري . " [3]

وعرفها جبّور عبد النور في معجمه الأدبي أن المقالة : " بحث موجز يتناول بالعرض والتحليل قضية من القضايا أو جانباً منها ، وقد يطول فيبلغ حجم كتاب عادي " [4]

لقد تباين النقاد في تعريف المقالة ؛ من خلال الاهتمام بجانب على آخر ، مما يجعل هذه التعريفات غير دقيقة من جهة ما ، فمنهم من اهتم بالصورة الذاتية ، ومنهم من ركّز على ارتباطها بفنون أدبية أخرى ، وآخرون أبعدوها عن الانفعال العاطفي والوجداني .

1- نجم ، محمد ، فن المقالة ، ص93 ، 94 .

2- المرجع السابق ، ص95 .

3- قطب ، سيد ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ط5 ، 1983 م ، دار الشروق ، بيروت ، ص 94 .

4- عبد النور ، جبور ، المعجم الأدبي ، ص 260 .

إن المقالة بشكل عام لا تخضع لتعريف محدد ، وموضوعاتها متعددة ؛ لأن أي شيء في هذا الكون صالح لأن يكون مادة للنقاش والمجادلة ، وطرح الأفكار التي تغني الفكر العام على شكل مقالة .

ولغة المقالة يسيرة سهلة ، وأسلوبها مباشر لا غموض فيه ؛ لأنها تخاطب عامة الناس ، وتكاد تقترب بعضها من اللهجة العامية بشكل من الأشكال .

وقد جرت العادة عند دارسي فن المقالة على تقسيم المقالة إلى نوعين وهما : المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية ، ويمكن التفريق بينهما من خلال العناصر الشخصي ة في المقالة ؛ فإذا كان الأسلوب قريباً من ذات الكاتب وأحاسيسه ومشاعره فهي ذاتية ؛ أي تصب اهتمامها في إبراز ذاتية الكاتب ، أما المقالة الموضوعية فتهتم أولاً وأخيراً بالموضوع ووضوحه . [1]

وعلى ذلك فالمقالة الذاتية هي : " المقالة المعبرة عن مشاعر الكاتب وأحاسيسه إزاء مشهد من المشاهد أو حدث من الأحداث ، وتعكس بوضوح وصراحة رؤية كاتبها الخاصة . [2]

ويعرفها ربيعي عبد الخالق بأنها: " نفثة نثرية يفضي بها الكاتب ، فتكون لسان حاله، ومعرِض تطلعاته، وتأملاته، وتتّسع لتجسيد انطباعاته ، واهتمامات حسّه الاجتماعي والإنساني، في إطار جاد تارة، ومتفكهًا تارة أخرى، رغبة في الإثارة، والتأثير، إمتاعًا وإقناعًا " [3]

1- انظر : نجم ، محمد ، فن المقالة ، ص 96، 97 .

2- انظر : الحديدي ، عبداللطيف ، فن المقال في ضوء النقد الأدبي ، ط 2 ، 1999 م ، الناشر: المؤلف نفسه ، الاسكندرية ، ص23 .

3- ربيعي ، عبد الخالق ، فن المقالة الذاتية ، ط1، 1988م ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ص73 .

وتحتوي هذه المقالات الذاتية بالإضافة إلى المشاعر ؛ خيالاً واسعاً وصوراً فنية جميلة تعبر عن أسلوب الكاتب وقدرته على إغناء نصه بألفاظ شاعرية .

وتتنوع ألوان المقالة الذاتية وتكثر حسب موضوعاتها ، ويعود ذلك لشمولية المقالة أموراً كثيرة في هذا العالم ، وهي تصلح لأن تكون موضوعاً ذاتياً يعبر عنه ، ومن هذه الألوان :

- صورة الشخصية : " وهي ما يعبر بها الكاتب عن تجاربه الخاصة" [1] بالأسلوب الذي يختاره ناقماً أم ساخراً أم معلماً .
- النقد الاجتماعي : من خلال تطرق الكاتب إلى مواضيع اجتماعية يحاول نقدها وإصلاحها [2] ، وهو بهذا النقد يعبر عن شعوره وشعور مجتمعه تجاه القضية المطروحة .
- المقالة السياسية : وهي التي تعبر عن أحاسيس الشاعر تجاه وطنه ، وطبيعة التغيرات السياسية التي تطرأ على وطنه وأمته ، فيحاول استنهاض الناس من غفلتهم وتوجيههم إلى الطريق الصحيح . [3]

وغير هذه الألوان هناك " المقالة التأملية والمقالة الوصفية والمقالة الدينية " ، [4]

أما النوع الآخر وهو المقالة الموضوعية فالتركيز فيها على الموضوع أكثر من ذات الكاتب وإبداعه ، ويعد هذا النوع أكثر انتشاراً من المقالة الذاتية لطبيعة عصرنا المبني على تطور

1- نجم ، محمد ، فن المقالة ، ص 102 .

2- انظر : الحديدي ، عبداللطيف ، فن المقال في ضوء النقد الأدبي ، ص 27 ، 28 .

3- انظر : الحديدي ، عبداللطيف ، فن المقال في ضوء النقد الأدبي ، ص35 .

4- نجم ، محمد ، فن المقالة ، من ص 114 إلى ص 118 .

العلم وكثرة موضوعاته ، ويعرفها عطاء كفافي ويرسم حدودها بقوله : " تكون شخصية الكاتب فيها متوارية وراء موضوعه ، واهتمام الكاتب فيها يكون موجهًا لموضوعه وفكرته ، ويرى الكاتب في هذه الحالة أن جلاء الموضوع ، وشرح الأفكار في عبارة كاشفة محددة المعالم ، وإيراد الجمل في سلاسة ، يُعد إرضاءً لعقل القارئ، وفكره ، ومتعة لمشاعره وأحاسيسه " [1].

ويعرفها نجم : " هي مقالة منفصلة عن الكاتب وتعالج موضوعا محدداً. وهي تقوم على نظام منضبط في المقدمات والعرض والخاتمة، وفق ترتيب الأفكار وتنسيقها، ويسوق الأفكار من دون تعمية أو تعقيد، وفق مبدأ الحجة والبرهان " ، [2] ، ومن ألوانها :

- المقالة الفكرية .
- المقالة النقدية .
- المقالة التاريخية .
- المقالة الفلسفية .

إن البناء الفني لهذه المقالات أو تصميمها إن صح التعبير يعتمد على مقدمة وعرض وخاتمة ، ويختلف الكتاب تبعاً لأساليبهم في كتابة المقالة ، فقد يعرض في متن المقالة موضوعه مفصلاً أو مدرجاً فيه حكاية أو قصة ، وقد يحلل ويصنف ويقوم على طرح الأمثلة التي تغني الفكرة وتعمقها .[2]

1- عطاء كفافي ، المقالة الأدبية: ، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1985م ، ص47 .

2- انظر : الماضي ، شكري ، فن المقالة في الأردن ، 2000 م ، من منشورات جامعة آل البيت ، المفرق ، ص 130 ، 131 .

ويعد مثل هذا التقسيم ، من التقسيمات التي تحد من إبداع كاتب المقالة ، والمقالة الذاتية بشكل خاص ، أما الموضوعية فقد تقتضي طبيعة الموضوع وجود هذا التقسيم المتمثل بالمقدمة والعرض والخاتمة ، حيث إنها تريد إيصال الأفكار بشكل ميسر دون غموض ، لذلك فقد تلتزم هذا الترتيب المنهجي .

وساعدت الصحافة في انتشار فن المقالة ، وبدورها الفعّال ساعدت على تنوع موضوعات المقالة ، فمنها ما جاء أدبياً ومنها ما كان علمياً أو سياسياً أو اجتماعياً ، فازداد عدد الكتاب في فن المقالة .

ولا بد من الإشارة إلى أن لغة المقال في الصحافة يجب أن تكون بسيطة وواضحة وسهلة بعيدة عن الغموض والتكلف ، أي أن تكون لغة الحياة العامة ، ولا نعني بهذا أن تكون لغة المقال العامية ، وإنما الفصحى بسهولتها ووضوحها . (1)

وتختلف بذلك لغة المقال الصحفي عن لغة المقالتين الذاتية والموضوعية ، في حين أن لغة المقال الذاتي تهتم بابراز شخصية الكاتب من مشاعر وعواطف ممزوجة بالصور البيانية والمحسنات اللفظية ، والمقال الموضوعي العلمي في اهتمامه بوصف الحقائق بلغة جافة تحتوي على أرقام وإحصاءات ونظريات ومصطلحات علمية ، أما المقال الصحفي فهو وسط ما بين المقالتين الموضوعية والذاتية ، بحيث يشتمل على شيء من ذاتية الكاتب وشيء من موضوعية العالم . (2)

1- انظر : أبو زيد ، فاروق ، فن الكتابة الصحفية ، ط 4 ، 1990 م، عالم الكتب ، القاهرة ، ص.181

2- انظر : حمزة ، عبداللطيف ، المدخل في فن التحرير الصحفي ،ط 4 ، 1956 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 285 -287 .

وللمقالة الصحفية أنواع ، حسب موقعها وشكلها في الصحيفة ، وهي :

المقال الافتتاحي .

العمود الصحفي .

المقال النقدي .

المقال التحليلي [1]

وقد مرت المقالة بمراحل قبل أن تصل إلى ما هي عليه ، حيث كانت في البدايات متأثرة بقيود النثر العربي المائل إلى ألوان البديع ، وما فيها من تأنق وزخرفة لفظية ، ومن ثم بدأ التحرر من ألوان البديع لما فيها من تكلف في النص [1] .

1- انظر : شرف ، عبد العزيز أدب المقالة ، 1997 م ، الشركة العالمية المصرية ، القاهرة ، ، ص 95-99 .

النشأة

المقالة ثمرة التقدم الحضاري ، وقد ظهرت في أواخر القرن السادس عشر على يد مونتين باسم essais ، والتي أسماها " محاولات " ونشرها في كتاب سنة 1580 م ، واحتوى على جزأين مكونين من أربع وتسعين مقالة ، غلب عليها الطابع الشخصي [1] ، ومن ثم تلقفها بعض الأدباء والكتاب في الغرب ، أمثال : الكاتب الفرنسي فرنسيس بيكون ، الذي أصدر سنة (1612م) ثمانياً وثلاثين مقالة أخذت تتخلص من الوعظ والذاتية، ثم أصدر سنة (1625م) ثمانياً وخمسين مقالة [2] .

وكان لظهور الصحافة أثرها البالغ في تطور فن المقالة ، ففي القرن الثامن عشر أخذ كتاب المقالة في إنجلترا ينهضون بها ويجعلونها فناً قائماً بذاته ، ، ومن هؤلاء الكتاب : جوناثان سويفت ، د. سمويل جونسون ، أليفر جولد سميث [3]

واتسع نطاق المقالة في القرن التاسع عشر ؛ فتعددت موضوعاتها ، وأصبح الكتّاب يكتبون في مواضيع كثيرة ، كالأخلاق والعادات وحياة المدن وطبيعتها ، وغيرها من الموضوعات التي تقوم على سعة ثقافة الكاتب واطلاعه . ، ومن أبرزهم : تشاريز لامب و وليم هازليت و لي هنت . [4]

وفي القرن العشرين بدأت المقالة في الازدهار وكان لها حضورها اليومي في الصحف

1- انظر : نجم ، محمد ، فن المقالة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1966 ، ص31 و 32 .
2- انظر : المرجع السابق ، ص36 و 37 .
3- انظر إبراهيم ، إسماعيل ، فن المقال الصحفي ، الأسس النظرية والتطبيقات العملية ، ط 2 ، 2003 م ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، عمان ، ص 34 .
4- المرجع السابق ، ص 35 .

والمجلات العلمية والأدبية العالمية ، وظهرت موضوعات كثيرة تبعاً لتطور الحياة العلمية في هذا العصر .

المقالة في الأدب العربي الحديث :

عرف العرب فن المقالة بمسماها ومعناها الحديث ، عندما ظهرت الصحافة معتمدة على الطباعة ؛ في أواخر القرن الثامن عشر ، وكانت مصر أول دولة عربية عرفت الصحافة المكتوبة باللغة العربية آنذاك ، وأصبحت الصحافة مرآة المجتمع ، ولا بد أن تعكس معتقدات المجتمع وأفكاره ووجهة نظره ، والمؤثرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي يتأثر بها [1] ، وحمل بعض الكتاب المصريين على عاتقهم كتابة المقالة الصحفية ، أمثال : " رفاعة رافع الطهطاوي ، وعبد الله أبو السعود ، وميخائيل عبد السيد ، ومحمد أنسي وسليم عنحوري " [2]

لقد ارتبطت المقالة بالصحافة ولازمتها ، فما إن ظهرت الصحف في بداياتها ؛ حتى أصبحت المقالة مادتها الأولى ، وشرع الكتاب في كتابتها ونشرها ، وقد صدرت الصحف في مصر " كصحيفة الوقائع المصرية ، ووادي النيل ، وروضة الأخبار ، ومن ثم ظهرت صحيفة الأهرام والوطن " . [3]

1- انظر : محمد ، سيد محمد ، الصحافة بين التاريخ والأدب ، ط1 ، 1985 م دار الفكر العربي ، القاهرة ، ، ص10 .

2 – أحمد ، حيدر سيد ، دراسة نقدية لفن المقالة الأدبية ، د . ت ، د. ن ، ص11 .

3- المرجع السابق ، ص11 .

وتأثرت الدول العربية بهذا التطور في الطباعة ، مما أسهم في صدور الصحف ، ففي الجزائر ظهرت صحيفة (المبشر عام 1847 م ، وفي لبنان أصدر (خليل الخوري) صحيفة (حديقة الأخبار) سنة 1858 م ، وفي تونس كانت أول صحيفة تصدر فيها هي (الرائد التونسي) سنة 1860 م ، وفي سورية نجد جريدة (سورية) التي أصدرت عام 1865 م ، وفي العراق صدرت جريدة (الزوراء) 1869 م ، وفي اليمن صدرت صحيفة (صنعاء) 1878 م ، وفي سوريا كانت صحيفة (سوريا) أول صحيفة رسمية في البلاد وصدرت سنة 1865 م [1] ، أما في السعودية فقد ظهرت أول صحيفة تحت مسمى (حجاز) 1908 م [2] .

وكان من أبرز الذين خدموا الصحافة والمقالة العربية في هذه الفترات : أحمد فارس الشدياق ، بطرس البستاني ، خليل سركيس ، شاكر شقير، يعقوب صروف ، مصطفى لطفي المنفلوطي ، ابراهيم المازني ، محمد عبده ، يعقوب بن صنوع ، قاسم أمين ، أمين الريحاني ، مي زيادة ، أديب إسحق . [3]

ومن الكتاب الذين سطع اسمهم في كتابة المقالة ، بعد منتصف القرن العشرين ، نذكر منهم :

أحمد زكي ، زكي نجيب محمود ، مارون عبود ، شكري فيصل ، محمد حسنين هيكل ، أحمد بهاء الدين ، محي الدين صبحي ، كامل زهيري ، يوسف ادريس ، رجاء النقاش ، محمد جابر الأنصاري ، وغيرهم .

1- انظر : أبو عرجة ، تيسير ، دراسات في الصحافة والإعلام ، ط1 ، 2000 م ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، من ص33 إلى ص43 .

2- انظر : الشامخ ، محمد ، نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1982م ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض .

3- انظر : أبو إصبع ، صالح ، محمد عبيد الله ، فن المقالة ، ط 1 ، 2002 م ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ص50 .

من الواضح أن البدايات في المقالة ارتبطت بالكتاب المصريين واللبنانيين ، وكان لهم دور بارز في إغناء المقالة في هذه الحقبة التاريخية من بداية الظهور إلى أواخر القرن التاسع عشر .

لقد اكتسبت الصحافة أهمية قصوى لدورها في نقل الأخبار ونقد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأصبحت تحتل مركزاً مهماً في سياسة الدول وثقافة الشعوب ، فتطورت في القرن العشرين وأخذت الصحف بالتكاثر ، مما انعكس على فن المقالة وتطوره وكثرة كتابه .

والمقالة في الأردن كغيرها من البلدان العربية واكبت الصحافة والمجلات الأدبية والثقافية ، أي أن تاريخ المقالة مرتبط بشكل رئيسي مع تاريخ الصحافة وظهورها ، وهي مدينة بظهورها لها ، وللمقالة الصحفية أثر بالغ في توعية الناس وتثقيفهم ، وتوجيههم في تصرفاتهم اليومية وعاداتهم وتقاليدهم .

أما بالنسبة لظهور الصحف ، فقد تأخر ظهور الصحف في الأردن عن غيرها من الدول العربية ؛ بسبب الظروف القاسية التي عاناها في العهد العثماني ، وأن الأردن لم يكن له وجود حقيقي ، إلا بعد تأسيس إمارة شرق الأردن ، وكانت من أوائل الصحف الأردنية ، صحيفة (الحق يعلو) 1920 م ، وبعدها ظهرت صحيفة (الشرق العربي) 1923. [1]

ومن ثم بدأت الصحف والمجلات بالتكاثر ومن الصحف التي صدرت : الدستور 1967 م،

---

1 – انظر : أبو عرجة ، تيسير ، دراسات في الصحافة والإعلام ، ص54 .

الرأي 1971 م ، شيحان 1984 م ، السبيل 1993 م ، [1] الغد 2004 م .

وتثري المقالة الصحفية القارئ بالمعلومات القيمة في مجالات الحياة المختلفة ، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية منها ، وتعينه على التأقلم مع الجديد في الحياة البشرية .

وقد غلبت المقالة بأنواعها على مضامين الصحف اليومية والأسبوعية في الأردن ، وكثر كتاب المقالة ، أمثال : عبد الرحيم عمر ، جمعة حماد ، رسمي أبو علي ، سعد النمري ، أمين أبو الشعر ، حكمت البسطامي ، [2] طلعت شناعة ، وغيرهم .

أما المجلات ، ومنها :

مجلة الرابطة الفكرية 1955م ، مجلة الشريعة 1959 ، مجلة أفكار 1966م ، مجلة دراسات 1972م . [3]

إن المقالة في الأردن تطورت تطوراً ملحوظاً تبعاً لتطورالصحافة ، وقد تنوعت الموضوعات التي ناقشتها المقالة في الأردن ، كالاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والرياضية ، كما كثر كتاب المقالة في الأردن ، ولا سيما كتاب المقالة الساخرة منها ، التي تنقد الأوضاع العامة وتحاول إصلاحها ، ولا ضير إن قلنا أنها من أسمى المقالات الموجهة إلى الشعب لأنها تعبر عن وجدانهم وتطلعاتهم وآمالهم .

1- انظر : أبو صوفة ، محمد ، الصحافة في الأردن ، 1920- 1996 ، قراءات أولية ،، ط 1 ، 1996 م مكتبة المحتسب ، عمان ، باختصار من الكتاب .

2- الماضي ، شكري ، فن المقالة في الأردن ، باختصار من الكتاب .

3- انظر : أبو صوفة ، محمد ، الصحافة في الأردن ، باختصار من الكتاب .

المقالة الصحفية الساخرة في الأردن :

لم ينفصل أسلوب السخرية عن الأدب بحال من الأحوال ، فه و أسلوب تمتاز به جميع الآداب ، فتكثر في أدب ما وتضعف في آخر ؛ لأسباب قد تكون نابعة من طبيعة المنطقة أو درجة الحرية المتوفرة في هذه المنطقة ، فحرية الكتابة والتعبير ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإبداع الذي ينتجه الأدب الساخر ، أي أن تميز أدب السخرية يتناسب طردياً مع حرية الكتابة .

وقد نعرف كاتبا _ في مكان ما _ يبدع ويتحدث ويلمس الواقع بكلماته المعبرة ؛ وآخر لا تعطيه كلماته إلا سخرية باهتة لا تصل إلى ما وصل إليه غيره ، ولا بد للكاتب الساخر من أن يكون جريئاً ؛ حتى يتسنى له التعبير دون خوف أو تردد ؛ لأنه يحمل رسالة عظيمة ألا وهي التعبير والتنفيس _ إن صح التعبير _ عن آلام الناس وواقعهم المعاش اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

وفي الأردن ظهرت السخرية للتعبير عن هموم المجتمع ، على شكل ابتسامات ومفارقات ساخرة ، تلمس من خلالها حب التغيير والتعديل في أمور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتعد السخرية سلاحاً فعالاً ضد الحزن واليأس ؛ لدورها في الإضحاك وإخراج الغصة والآلام من نفوس الناس .

لم تغادر السخرية أدبنا الأردني وبقيت حاضرة في شعره ونثره ، فنجدها حاضرة في أشعار مصطفى وهبي التل (عرار) ، وفي كتابات هاشم السبع ، وكتابات رسمي أبو علي ، وروايات مؤنس الرزاز ، ولطفي ملحس ، وفخري قعوار .

ولكن الكتابة الساخرة في الأردن والمقالة خاصة ، أخذت منحى آ خر ، وتطورت تطوراً ملحوظاً حتى غدا لها كتاب وكتب ، فمن أسلوب في ثنايا الأدب إلى فن قائم بذاته يناقش فيه كل ما

يخص المجتمع والواقع الذي يحياه ، وبدأت بذور التطور واضحة في بدايات الربع الأخير من القرن الماضي ، ولعل ظهور مصطلح كاتب ساخر اقترن بالكاتب محمد طمليه [1] ، وبالتحديد في مقالاته الساخرة التي بدأ في نشرها في صحيفة الدستور عام 1983[2] ، وقد اختلف النقاد في طبيعة السخرية التي يتقنها طمليه فمنهم من عده جاداً لا ساخرا حتى أن الكاتب نفسه يقر بجديته في الكتابة ، ومهما يكن فإن لطمليه أثر لا يمكن تجاهله من خلال إبداعاته التي امتزجت بالسخرية في أحايين كثيرة ، ولعل الإشكال ناجم من طبيعة السخرية التي يكتبها طمليه ؛ فهي سخرية مؤلمة وقاسية ولاذعة تختلف بشكل تام عن سخرية نظائره من الكتاب الأردنيين الساخرين ، ولعل من أبرز سخريته التعريض بنفسه والسخرية منها بعد أن أصابه داء السرطان في لسانه ، ومما يجدر التنبيه عليه أن مصطلح السخرية والأدب الساخر خرج من تحت عباءة محمد طمليه [3] .

إذن لقد كان لمحمد طمليه دورٌ بارزٌ وفضلٌ كبيرٌ على غيره من الكتاب الساخرين ، وإن لم ينهجوا منهجه في السخرية الجادة ، فكان ممن أسس لبدايات الكتابة الساخرة في الأردن .

1- ولد محمد عبد الله مصطفى طُمَليه بتاريخ 1957/11/14 في قرية أبو ترابة، قرب الكرك ، حصل على بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من الجامعة الأردنية عام 1985، وسجن خلال دراسته كثيراً ، عمل بعد تخرجه سكرتيراً تنفيذياً لرابطة الكتاب الأردنيين، ومديراُ ثقافياً لغاليري الفينيق للثقافة والفنون، ورئيساً لتحرير جريدة (قف) ، وكاتباً لعمود يومي ساخر في عدد من الصحف الأردنية منها: الشعب، الدستور، العرب اليوم، البلاد، الرصيف، كما كان عضواً في الهيئة الإدارية لرابطة الكتاب الأردنيين، وعضو في اتحاد الكتاب العرب، نال جائزة رابطة الكتاب الأردنيين في مجال القصة القصيرة عام 1986. ترجمت بعض قصصه للانجليزية والفرنسية. أصيب بالسرطان القاتل وتوفي في عمان بتاريخ 2008/10/13.

2- انظر : ابو الرب ، مجدولين ، " محمد طمليه " ، مجلة أفكار ، 245 ، 53- 76 . 2009 م .

3- انظر : أبو نضال ، نزيه ، استحقاقات الكتابة ، مجلة أقلام ، 27 ، 13-15 ، 2009 م .

ونجد في البدايات أيضاً في مجال الكتابة الساخرة الأردنية مؤنس الرزاز [1] ، في كتابه " مد اللسان الصغير في وجه العالم الكبير " ومن بعده ظهر كتاب " يوميات فرحان فرح سعيد " لفخري قعوار[2] ، ومن ثم ألّف يوسف غيشان [3] كتاب ساخر ، عنونه " شغب ، مساخر في

---

1 – ولد مؤنس منيف الرزاز في السلط عام 1951، درس في مدرسة "المطران" في عمان، وحصل على الثانوية العامة "التوجيهية" المصرية، ثم درس مستوى ال (Alevel) في بريطانيا لمدة عام ونصف العام، ثم انتقل إلى بيروت، ودرس الفلسفة في جامعة بيروت لمدة ثلاثة أعوام، ثم انتقل إلى جامعة بغداد، وتخرج من جامعتها حاملاً شهادة ليسانس فلسفة، ثم انضم إلى جامعة جورج تاون في واشنطن لاستكمال دراساته العليا، إلا أنه تركها بعد عام واحد، سنة 1978 حيث التحق بأسرته التي انتقلت من عمان إلى بغداد عام 1977.

عين مستشاراً في وزارة الثقافة، ورئيساً لتحرير مجلة أفكار، و انتخب عام 1994 رئيساً لرابطة الكتاب الأردنيين، كما انتخب عام 1993 أميناً عاماً للحزب العربي الديمقراطي الأردني الذي نشأ بعد الانفراج الديمقراطي في الأردن عام 1989 لكنه استقال من موقعه هذا في أواخر عام 1994. نشر مقالات سياسية يومية في جريدة الدستور الأردنية في النصف الثاني من الثمانينات. وفي جريدة الرأي الأردنية في التسعينات وحتى وفاته في مستشفى لوزميلا في عمان، يوم الجمعة الموافق 2002/2/8.

2 – ولد فخري أنيس قعوار في الجفور، الرويشد حالياً، في 9 /6/ 1945، حصل على الثانوية من الكلية الإبراهيميّة في القدس عام 1964، وعلى الليسانس في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية عام 1971. عمل معلماً لمدة 13 عاما، ثم انتقل للعمل في جامعة اليرموك في دائرة العلاقات العامة.
عضو مؤسس لرابطة الكتاب الأردنيين التي صار رئيساً لها فيما بعد لمدة أربع دورات امتدت منذ عام 1991 وحتى عام 1999. انتخب أميناً عام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، مرتبن 1992 ثم 1995. وهو عضو في نقابة الصحفيين الأردنيين، وعضو في جمعية الأدب والفن الساخر البلغارية، وفي عام 1989 انتخب نائباً في البرلمان الأردني عن مدينة عمان، كما شغل موقع رئيس تحرير صحيفة "الوحدة" الأسبوعية.
حاز على العديد من الجوائز الأدبية محلياً وعربياً ومنها: جائزة محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة .
3 – ولد يوسف ميخائيل عودة الغيشان عام 1956، في مادبا واسمه الشعبي (جريس) ، حصل على ليسانس فلسفة وعلم نفس من جامعة بيروت العربية عام 1979 وعلى دبلوم في التخصص نفسه ومن الجامعة نفسها عام 1980.

عمل صحفياً في جريدتي شيحان والمسيرة للأعوام 1990–1993، ثم عمل مديراً لتحرير المحليات في مجلة الأفق عام 1993، وكاتباً يومياً في صحيفة الشعب عام 1994، ورئيساً لتحرير صحيفة البلاد عام 1995، ورئيس تحرير صحيفة عبد ربه الساخرة عام 1996، وكاتباً لمقال يومي في جريدة العرب اليوم عام 1997، ومسؤول صفحة ساخرون بلا حدود على موقع البوابة الإلكتروني، ومنذ عام 2001 وهو يكتب عموداً يومياً في جريدة الدستور الأردنية.

زمن المباخر " ، وبعده بعام ظهر كتاب " خباص الضايع " لموسى حوامدة [1] ، وبعد عام 1995 ، نشطت الحركة الأدبية الساخرة ؛ فقد ظهر كتاب متميزون أعطوا للكتابة الساخرة في الأردن حقها من خلال ما ألّفوه من كتب ، بالإضافة إلى غزارة التأليف الساخر عند بعض الكتاب الساخرين لا سيما غيشان ، ومن الكتاب الّذين كان لهم دور في تطور هذا الفن الساخر : أحمد حسن الزعبي [2] في كتبه " الممعوط ، سواليف ، أو ... جاع وطن " ، وكامل النصيرات [3] في كتابيه " تنفيس ، نكشة راس ع الأصلي " وطلعت شناعة [4] في كتابه " ثرثرة على الريق " ، وأحمد أبو خليل [5] في كتابه " بؤس الفسفسة " .

1- وُلد موسى محمد حسين الحوامدة في السموع/ الخليل عام 1959، حصل على بكالوريس لغة عربية من الجامعة الأردنية عام 1982، يعمل منذ تخرجه في الصحافة الأردنية، تعرض بسبب مواقفه وقصائده للمحاكمة والسجن ، نال جائزة الشعر من رابطة الكتاب الأردنيين، 1982، وله مؤلفات في الشعر ، منها : شجري أعلى ، 1999 م ، أسفار موسى، (العهد الأخير). 2002 .

2- ولد أحمد حسن الزعبي في مدينة الرمثا ، حاصل على بكالوريوس محاسبة وعمل لسنوات في الخليج العربي. ثم انتقل منذ العام 2004 للعمل كاتباً صحفياً في جريدة "الرأي" الأردنية.

3- ولد كامل النصيرات سنة 1972 في مخيم البقعة ، وسجن عام 1995 م على إثر قضية سياسية بعد أن كتب كتيّباً حمل عنوان " بين يديّ أمير المؤمنين " ، عمل في صحف كثيرة كالأنباط والعرب اليوم ، وهو الآن يكتب في جريدة الدستور .

4- كاتب وصحفي أردني وناقد فني ويعمل حاليا في جريدة الدستور الأردنية، وله كتب ومقالات وفيرة في الأردن و الوطن العربي عرف طلعت شناعة بأسلوبه الدقيق بالكتابة والحس الغني بالمعاني والكلمات العميقة ، نشرت مقالاته في أكثر من صحيفة ومجلة عربية ونذكر منها مجلة أيام، وكالة رم للأنباء ، من كتبه : 1- واحد خارج القسمة ، 1987م ،2- نصوص الشوارع 1992م .

5 – أحمد أبو خليل ابن بلدة الرمثا الأردنية، يحمل درجة الماجستير في الأنثروبولوجيا وله أبحاث في هذا المجال. بدأ الكتابة الساخرة مع مجلة عبد ربه عام 1996، وهو كاتب مقال ساخر في العرب اليوم، أصدر مجلة المستور المتخصصة بشؤون الفقر والفقراء، وراح يقلب فيها أوجاع الشأن الاقتصادي وانعكاساته على المجتمع الأردني.

والكتب التي ألفت في مجال الكتابة الساخرة الأردنية مع كتابها وتواريخ نشرها ، هي :

أ –فخري قعوار : وقد جمعها في كتاب أسماه الأعمال الساخرة عام 2007م ، وهذه الأعمال هي :

1- يوميات فرحان فرح سعيد ، 1982 .

2- مراسيم جنازتي ، 1994م .

3- لحن الرجوع الأخير ، 1998 م .

ب – موسى حوامدة :

١ –خباص الضايع ، حكايات ساخرة ، 1995 م .

٢ -حكايات السموع ، 2000 م .

٣ -زوجتي ضربتني ، 2000 م .

ج – يوسف غيشان :

١ -شغب ، مساخر في زمن المباخر ، كتابات ساخرة ، 1994م .

٢ -يا مدارس يا مدارس ، كتابات ساخرة ، 1996م .

3- برج التيس ،كتابات ساخرة 1999م .

4- مؤخرة ابن خلدون ، كتابات ساخرة ، 2006 م .

5- هكذا تكلم هردبشت ، كتابات ساخرة ، 2011م .

6- لماذا تركت الحمار وحيداً ، حكايات ساخرة ، 2008م .

د – طلعت شناعة :

– ثرثرة على الريق ، كتابات ساخرة ، 2009 .

هـ – أحمد أبو خليل وكتابه : بؤس الفسفسة ، تمارين في الكتابة الساخرة ، 2006 م .

و- محمد طمليه :

١ -يحدث لي دون سائر الناس ، 2004 م .

٢ -إليها بطبيعة الحال ، 2007 م .

ز - أحمد حسن الزعبي :

١ -سواليف ، 2006 م .

٢ -الممعوط ، 2008 م .

٣ -أو ... جاع وطن ، 2011 م .

ح - كامل النصيرات :

1- نكشة راس ع الأصلي ، نصوص ساخرة إلا شوية ، 2007 م .

2- تنفيس ، 2009 م .

ط- هند خليفات [1] وكتابها ، اعترافات امرأة لا تجيد لف الدوالي ، 2009 م .

ي- باسل طلوزي : نصوص ومقالات ساخرة : الثانية عشرة إلا أنت، 1997 م .

ك- ماجد الخواجا :

١ -كلّه تمام، 2008 م .

1- أول كاتبة ساخرة في الأردن، وهي من لواء البتراء الجنوبي، مواليد معان عام 1979، تخرجت في الجامعة الأردنية بشهادة البكالوريوس في علم الأحياء (البيولوجيا). ثم حصلتْ على الدبلوم العالي في التقنيات الطبية. أثبتت حضوراً متميزا، عبر مقالتها الأسبوعية الساخرة، في صحيفة الرأي، بعنوان "غصة صغيرة". ثم انضمت، منذ العام 2010، إلى أسرة جريدة الدستور الأردنية ، وهي فنانة تشكيلية وأقامت عددا من المعارض كان آخرها في قصر الثقافة بعمان .

2- خلقنا لنعترض ، 2009 م .

3- مياووو ، 2010 م .

هذه هي الكتب الساخرة التي ألفت في حقبة زمنية محددة ، حيث بدأت تشق طريقها إلى أن نشطت في بدايات التسعينيات ، ولا بد من التنويه على أن هؤلاء الكتاب يكتبون بأساليب مختلفة عن غيرهم من حيث قوة الأسلوب واللغة المستخدمة ، ونجد تفاوتا بين كتاب الأدب الساخر ، فقد يتناول كاتبان موضوعاً ما أو نقداً لجهة ما ، لنكتشف أن هذا الكاتب كان مبدعا ومسيطرا على موضوعه بالتناول السليم الذي يلفت انتباه القارئ ويحفزه على القراءة ، ونرى الكاتب الآخر قد تلعثم في إيصال فكرته ، فلم يصل إلى ما وصل إليه الأول .

وبعد النظر في هذه الكتب الساخرة اتضح لنا بعض الأساليب والتقنيات النقدية التي اشترك فيها كتاب المقالة الساخرة في الأردن ، وكان بعضها يقوى عند كاتب ، ويضعف عند آخر ، فقد نجد على سبيل المثال أن يوسف غيشان يكثر من استعمال اللهجة العامية أكثر من استعمال فخري قعوار لها ، ونجد أن استخدام السيرة الذاتية في المقالة الساخرة يشتد عند محمد طمليه أكثر من نظرائه الساخرين ، أي أن هناك تفاوت ما بين كاتب وآخر في التميز والإبداع بتقنية ما على غيرها ، وقد يؤثر كاتب استخدام تقنية ما ويكثر منها حتى تصبح واردة ومتكررة في مقالات كثيرة ، ومن ثم يتميز بإتقانها على أكمل وجه .

الفصل الثانـي :

المقالة الصحفية الساخرة وتطبيقاتـها .

برزت في المقالة الساخرة في الأردن بعض الأساليب التي قد تشكل ظاهرة ما في لغة المقالة وهذه الأساليب التي انتهجها كتاب المقالة _ وتفاوتوا في إبداع كلماتها ومعانيها _ هي سمات وميزات لنص كاتب على كاتب آخر ، وتبدو هذه السمات واضحة ومعبرة عن مضمون المقالة الساخرة ؛ وذلك عن طريق استيعابها وتوضيحها لمكنون المقالة .

وفي استخدام هذه الأساليب _ إن أحسن التعبير عنها _ قوة في التأثير على المتلقي ، وتبرز أهمية هذه التقنيات في أنها تعطي النص قوة في الأسلوب ، ومن شأن هذه التقنيات أن تميز أسلوب كاتب عن آخر في استخدامه وانتقائه لألفاظ مناسبة في كتابته النص ، ولا يجيء انتقاء الألفاظ مناسباً إلا في حال توظيفها في قوالب وتقنيات نقدية هادفة .

يمتاز كل كاتب ساخر عن غيره بالأسلوب والتقنية الفنية ، فقد يلجأ كاتب إلى أسلوب الإضحاك والعبث في الكلمات ، وقد نجد كاتبا آخر يعتمد على المفارقة والمفردة الشعبية ، وقد يستخدم آخر التصوير الكاريكاتوري ويكثر منه بما فيه من تضخيم لسلوك أو شخصية أو موقف .

وتعد هذه الأساليب أدوات هامة للدخول إلى أعماق النص الساخر ، وقد انتشرت هذه التقنيات في المقالة الساخرة بشكل ملحوظ ؛ حتى شكل كل أسلوب منها ظاهرة جديرة بالدراسة والتحليل والبحث

المفارقة " irony " :

تعد المفارقة من أكثر الأساليب ارتباطاً بالسخرية ، ولا بد للسخرية من أن تحتوي على مفارقة ما في أغلب الأحيان ، ولعل أبسط تعريف للسخرية هو قول شيء ليكتشف أن المراد عكسه أو ضده ، فتعمد قول شيء ومن ثم رفضه ؛ يحدث نوعاً من التناقض ، بحيث تجعل القارئ يتمعن ويفكر في معرفة المعنى الثاني بعد أن يرفض المعنى الأول .

وهي هنا تقلب توقع القارئ ، فالكاتب يقود القارئ إلى النص ، ليتوقع القارئ معنى ما فيكتشف أن المراد شيء آخر ، وبذلك فالمفارقة حيلة لغوية تعتمد على الإثارة والمفاجأة والخداع مما يجعلها مثيرة للسخرية والضحك .

ولا بد من الإشارة إلى أن المفارقة تعتمد على القارئ في اكتشافها ، فهي عند قراءتها تحمل معنيين ، المعنى الأول سطحي والآخر متخفٍ وراء الألفاظ هو ما يريده الكاتب من المفارقة ، وهو المعنى الذي يبحث عنه القارئ ، " ولا بد من وجود ضحية في المفارقة . وقد تكون الكاتب أو الـ (أنت) أو الـ (أنا) ، وهي ضحية بريئة ومتهمة " [1] .

إذن ، فالمفارقة اتصال بين كاتب النص وقارئه ، وهي شكل من أشكال السخرية ، فالسخرية أيضاً تخفي مدلولاً نقدياً وراء سطحها اللغوي الظاهر ؛ بعيداً عن المباشرة في إيصال المعنى ، وهو ما يقترب من تقنية المفارقة ، والمفارقة ؛ وما فيها من تورية وسخرية ، تعد طريقة جيدة للخلاص من الرقابة السياسية التي قد تكون موجودة في بيئة كاتب الأدب الساخر ، والتي تتعلق بطبيعة الحريات الصحفية والكتابية .

1- إبراهيم ، نبيلة : المفارقة، مجلة فصول ، العدد الثالث والرابع، أبريل وسبتمبر، 7 ، 133- 140 ، 1987م .

وقد عبر كتاب المقالة الساخرة في الأردن عن المفارقة في كتاباتهم الساخرة ، ولعل أحمد حسن الزعبي من أكثر الكتاب توظيفاً لتقنية المفارقة في مقالاته ، ففي بداية كتابه " الممعوط " يقول : " أخي القارئ أرجو أن تدرك أن الممعوط ليس مخلوقاً ضعيفاً أو مسخاً مضحكاً .. الممعوط مقاوم من الطراز الأول ، وشهيد لم يستلم شهادته بعد " (1)

ولا يخفى على القارئ ما تخفيه هذه العبارات التي ابتدأ بها كتابه ، فالممعوط كما هو متعارف عليه ؛ هو المنتوف الريش من الطيور ، والمهضوم الحق ، ومن صفاته عدم المقدرة على المواجهة المباشرة ، ولا يتاح له التحكم المطلق فيما يريد ، والمفارقة واضحة في وصفه للممعوط فهو مقاوم وشهيد ، لكن بدون شهادة مما يجعله ضحية المفارقة ، وتتعمق بذلك مأساة المواطن الممعوط .

وتبدو المفارقة في افتتاح كتابه " أو ... جاع وطن " واضحة في مقالته " لماذا نسخر " ، من خلال المقابلة والتضاد بين الموقف وما يترتب عليه :

" لماذا نسخر ؟ عندما يطلع علينا وزير ويشدد على ضرورة ضبط النفقات ، وإطفاء اللمبات ، وتقليص عدد مرات " فك الوضوء " ، ويعد على موظفي الدولة عدد الكبسات وعدد ورقات A4ثم " ينقف " في اليوم التالي سيارة ب100 ألف " (2) .

ويسخر الزعبي من التقشف ، لا لأنه سيء ، بل لأنه يذهب هباء ولا يستفاد منه ، والضحية هي هم الموظفين في المحافظة لكن دون جدوى ليأتي وزير ما ، ويضيع كل ذلك بشراءه سيارة بمبلغ كبير ، وهو هنا يرمز إلى الفساد الوظيفي .

وفي مقالة " انفصام " للزعبي تتوالى المفارقات واحدة تلو الأخرى ، فيصف الانفصام

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ،2006 م ، دار ورد ، عمان ، ص 7 .

2- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ط1 ، 2011 م، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان ، ص7 .

الحاصل معه بقوله : " أنصح غيري بالجرأة وأنا جبان ، أنصح غيري بالاستقامة و أنا أعوج ، أدعي الوضوح وأنا غامض ، أتظاهر بخفة الدم وأنا مزاجي ، أمارس دور البطولة وأنا هبيلة لم أتخذ موقفاً مشرفاً في حياتي ، أذم هيفاء وهبي في العلن وامتدحها في الخفاء ، أطالب بالوحدة العربية ، ولا أطيق أن يشاركني شقيق عربي حتى في الهواء ، " نكدي " مع عائلتي ، بشوش مع الغرباء ، رضعت من الهزائم العربية خمس رضعات ومع ذلك أدَّعي الصمود " [2] .

تتضح المفارقة في المقابلة بين حال وآخر ، فهو يقوم بأشياء لكنه في ذات الوقت لا يقوم بها ، ويقوم بفعل أمور عكسها ، ولعل من شأن هذه المفارقات تعزيز السخرية والضحك ، كما أنها تعبر عن الألم الذي يكابده الكاتب ، وتكمن قمة المفارقة في التأكيد على فكرة الانفصام من خلال سرد مواقف مفارقة كثيرة تدل عليه .

ويحاول الزعبي في مقاله " الحالم العربي " أن يصل بالقارئ إلى المفارقة بعد سرده لطبيعة اختراع يقوم على فهم أحلام الناس ومعرفتها عن طريق تقنية تصوير المخ ، و يتناول بسرده للمقالة ؛ كيفية استخدام الحكومات العربية هذا الجهاز ، لتصبح مهمة الجهاز من قارئ للأحلام إلى جهاز يساعد ويساند الحكومات من جهة أمنية في فهم ما يدور في نفوس الناس ، وبعد هذا تأتي المفارقة في الطريقة التي سيفشل فيها الاختراع في قوله : " لكن يبقى عندي أمل كبير لإفشال اختراعهم هذا ...... كيف ؟ هم يقولون إنهم يبحثون عن تقنية ؛ لتصوير المخ التي ستجعل من الممكن رؤية الأحلام ، مزبوط ؟؟ ، الذي يطمئنني أنهم ما أن يتوصلوا إلى هذه التقنية ويفرحوا بها ، لن يجدوا عندي " مخ " لتصويره (ومثلي مثايل) . [1] .

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 29 .

لقد عبرت هذه المفارقة عن ارتباطها بالزمن القادم لو هيئ لها أن تظهر ، فجاءت المفارقة مؤلمة مضحكة ، والضحية هنا هم الناس ، فقلب الحقائق أعطى للمفارقة دورها البارز في التعبير عما يدور في خلد الكاتب .

وفي مقالته المعنونة بـ " الفاتحة " تبدو المفارقة في قلبه للمثل الذي يقول " الحي أبقى من الميت " ليجعله " الميت أبقى من الحي وقد قدم الأسباب ليثبت صحة قلبه للمثل :

" لأن الميت باق على موته أما الحي فيتحشرج ألف مرة باليوم دون أن يموت " [1] .

ويختم المقالة بمفارقة تكميلية للمفارقة الكبرى :

" فاقرأوا الفاتحة على روح الأحياء منا ، وللأموات بعدنا طول البقاء " [2] .

وفي مقالة للزعبي بعنوان كيف حال الوطن ينجح الكاتب في ختام المقالة من إيصال المفارقة والسخرية المضحكة المؤلمة ، وتتحدث المقالة عن رسالة بعثت من مغترب ، يود الاطمئنان عن الوطن ، ومشاريعه التي سمع بنية الحكومة في تنفيذها ، منها :

" استغلال اليورانيوم ، واستخراج الصخر الزيتي ، وتفعيل طاقة الرياح ، ومشاريع التنقيب عن النفط ، ومصنع زجاج معان ، ومغنيسيا الأردن ، وإنشاء مطار الأغوار والتأمين الصحي الشامل ، وقانون الأحزاب الجديد ، .... والثالولة اللي بوجه جوز خالتي أبو عماد " [3] .

ومثل هذه التطمينات تحتاج إلى كلام كثير للإجابة عنها ، لتأتي المفارقة في الإجابة التي احتوت سطرين على هذا الصديق :

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ص89 .

2- المرجع السابق ، ص 91 .

3- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص13 .

" صديقي ، سأبدأ من حيث انتهيت : الحمد لله ، كل شيء على ما هو عليه ، فقط تم إزالة الثالولة بنجاح من وجه قريبك أبو عماد " [1] .

والمفارقة واضحة في الجواب غير المتوقع ، وهذا الجواب يحمل مفارقة عميقة ألا وهي عدم الجدية في استثمار هذه المشاريع .

وفي مقالته " مكالمة دولية مع ميت " تجري مكالمة بين أبي يحيى وأبيه الذي توفي قبل عشرين سنة ، في حوار لا يخلو من المفارقات ، فكيف لميت أن يقوم بالاتصال مع حي ؟! وقد استخدم الكاتب المفارقة واستغلها في إيصال الفكرة ، فالأب الميت يطمئن على أحوال عائلته بعد أن سمع من جار له في القبر عن غلاء الأسعار و المشتقات النفطية ، فيرد عليه الابن وهو أبو يحيى :

- " الله يرحمك يابا دايماً شايل همنا .
- المتصل : الله يرحمكو انتو !
- أبو يحيى : انت الميت يابا مش أنا .
- المتصل : انت بتفكر حالك عايش ؟ انت كمان الله يرحمك ! [2] .

تبرز الضحية وهو أبو يحيى الذي يرمز لكل معانٍ من الناس من غلاء ورفع للأسعار ، فالكاتب متأثر بغلاء الأسعار ؛ لذلك أبان عن ذلك بتتابع المفارقات ، ولسان حاله كغيره من

1- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص13 .
2- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 160 .

أفراد الشعب ، وترمز المقالة إلى أن الأموات يشعرون بما نشعر به من غلاء معيشة ومعاناة في تلبية الحاجات الأساسية ، وأن الغلاء وصل حداً لا يطاق ، لدرجة أن الأموات عرفوا به .

وفي مقالة لغيشان بعنوان " التفاحة " تبدو المفارقة واضحة جلية من خلال عرضه لأستاذ يشرح درساً عن الجاذبية التي اكتشفها نيوتن عندما وقعت تفاحة من شجرة كان تحتها ، وينهمك المعلم بشرح الدرس والتوضيح ، وبعد نهاية الدرس ، رفع الطلاب أيديهم جميعاً ليسألوه سؤالا لا يخلو من المفارقة والطرافة :

–ما هو التفاح يا أستاذ ؟ (1)

المفارقة واضحة ، والضحية يشترك فيها المعلم الذي أجهد نفسه في شرح الدرس وتوضيحه ، والطلاب الّذين لا يعرفون التفاح حتى يتصوروا مفهوم الدرس الذي يتحدث عن الجاذبية .

أما في مقالة رمضان كريم لغيشان ، فإن المفارقة تأخذ منحىً مأساوياً ، وذلك من خلال استخدامه صيغة الأمر ، فيقول مخاطباً الناس الّذين تقاعسوا عن حماية الأرض والدين :

" رمضان كريم ، فاركعوا ودعوهم يهرسونكم فتموتوا صياماً طاهرين ، فيجزيكم الله خيراً وأجراً لا تتخيلونه إن كنتم صادقين " (2)

1– غيشان ، يوسف ، لماذا تركت الحمار وحيداً ، ط1 ، 2008 م، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان ، ، ص 48 .

2 – غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، برج التيس ، ط 1 ،2007 ، دار ورد الأردنية ، عمان ، ، ص 165 .

فهل يجزى الله الناس خيراً عند الركوع للأعداء ؟ ، ويتابع في المقالة نفسها بعض المفارقات فيقول :

" رمضان كريم ، يغفر لكم كلينتون ، فاسجدوا لطيور الأبابيل الأمريكية ، وتوضأوا من دماء أطفال العراق ترضى عنكم اللات والعزى وهبل وذو الشرى ونفذوا تعليمات الصندوق حتى يكون من الراضين " (1)

فقد اشتدت المفارقة في التوضؤ بالدماء ، فأصبحت مفارقة مأساوية ، فالضحية هي نفسها التي تؤمر بأن تفعل كل هذه الأمور التي يتحدث عنها النص ، وكان في الارتكاز على صيغة الأمر دور كبير في تعميق المفارقة .

وفي مقالة " بروتوكولات حكماء العرب " يستخدم صيغة الأمر أيضاً ، فيقول :

" إذا باعوكم فاسكتوا

وإن سجنوكم فاصمتوا

وان قتلوكم فاغرشوا " (2)

فالكاتب هنا يسخر من الواقع السياسي الأليم الذي منع الناس من الكلام ، وتتجسد السخرية من خلال صيغة الأمر المتكررة التي تقوم على الصمت وعدم الاكتراث بما يحدث من بيع وسجن وقتل .

وفي مقالة " اكتشاف أردني " ، يعرض غيشان للاكتشافات التاريخية في العالم ، ويتعلق هذا الاكتشاف في تاريخ استخدام الهواتف الأرضية ، فبعد حفريات الفرنسي والإيطالي تبين أنهم

---

1 - غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، برج التيس ، ص166 .

2- غيشان ، يوسف ، لماذا تركت الحمار وحيداً ، ص61 .

استخدموا الهواتف قبل 100 و 150 سنة ، وقد جاء دور الأردني ليعرض اكتشافه لتبرز المفارقة في عرضه للاكتشاف الذي قام باكتشافه الشخص الأردني ؛ بشيء لا يخلو من الطرافة والنكتة ، كما تتضح السخرية في هذا الاكتشاف :

" بعد حفريات متعددة وفي كافة الاتجاهات تحت مدينة البتراء الأثرية ، لم نجد أي أثر لكوابل أو ما يشابهها .... ارتاح الفرنسي والإيطالي ، وكاد الجمهور أن ينظر باستهزاء للرجل ، لكنه أردف قائلاً : وهذا يدل على أن الشعب الأردني كان يستخدم الخلويات والموبايلات منذ أكثر من ألفي عام .... " [1].

ويعتمد غيشان على المفارقة في مقالته " العقل المدبر " ، وذلك في قوله :

" أشعر بالغيرة من كل عقل مدبر ، مهما كان حجم العملية ... حتى لو كان عقلاً مدبراً لعملية اختطاف طفل أعمى " [2].

فكيف تكون هذه العملية صادرة من عقل مدبر والمخطوف شخص أعمى لا يحسن الدفاع عن نفسه ؟!

ولا يخفى على القارئ ضحية هذه المفارقة وهي الشعوب العربية بشكل عام ، وبعدها عن الاكتشافات ، والسخرية في هذه المقالة واضحة ومضحكة .

ويطل علينا طمليه بمزيج من المفارقات في كتابه " إليها بطبيعة الحال " ، ولا بد من التنويه على أن هذه المفارقات تعبر عن حزن طمليه و عبثه ، فبعد النظر في كتابه هذا ، وجدنا أن معظم المقالات تتحدث عن مكنون نفسي خاص بالكاتب ومعاناته في مرضه " السرطان " في اللسان .

---

1 – غيشان ، يوسف ، لماذا تركت الحمار وحيداً ، ص121 .

2– غيشان ، يوسف ، الأعمال الساخرة ، مؤخرة ابن خلدون ، ص 61 .

" كما يتحدث عن أيامه التي قضاها في مستشفى المدينة الطبية فتحدث عن غرفته وعن الممرضين والممرضات وعن فحوصاته ، ويتحدث عن عائلته أمه وأخيه وأبيه الذين ماتوا وهم واقفين على حد قوله ، ويتحدث عن تجاربه وخبراته التي يرتضيها لنفسه ، فقد سخر من مرضه وأبدى جواً من المفارقة في وصفه لهذا المرض فيقول :

" السرطان مجرد سكرتير مجتهد قمت بتعيينه في جسدي لتذكيري كل صباح بواجبي إزاء مشروعي الأدبي " [1] ، ويتابع في المقال نفسه لتصل السخرية من المرض وعدم الاكتراث به حدها المحزن :

أنا مريض " عن جد " هذه المرة وأعرف أن حياتي انقلبت دفعة واحدة . لا بأس " [2]

ويعود بعد ذلك لينفي مرضه ، وتبدو المفارقة جلية في التضاد :

" أنا لست مريضاً أيها السادة . كل ما في الأمر أنني قررت ترويج الإشاعة لإقناع الجميع أن السرطان أقل خطورة من تبسط القدمين ، وسنهزمه . " [3]

وفي كتابه نفسه ، نجد بعض المفارقات المميزة التي تختلف عن مفارقات غيره من الكتاب ، ولعل ذلك عائد إلى جدية الكتابة ومأساويتها وذاتيتها عند محمد طمليه ، مما جعلت منه كاتباً آخر يختلف عن كتاب السخرية في الأردن ، وهذه المفارقات تعتمد على الضد وعكس توقع القارئ ، كما تعتمد على اضطرابات الكاتب الذي يصف ويرسم أفكاره بعبثية لا نكاد نجدها بكثرة عند غيره في كتاباته :

1- طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ط1 ، 2007 م ، البنك الأهلي الأردني ، ص 123

2- المرجع السابق ، ص 124 .

3- المرجع السابق ، ص 124 .

" أنا في إجازة شهر عسل بمفردي ، بعد زفاف لم يتم " (1)

" أمشي بحيث لا أصل إلى أي موقع : فاتني أن أقول إن أحلامي لا يشاركني فيها أحد حتى أنا " (2)

" الملاحظ أن الأيام تمر بسرعة ، اليوم خميس ، وغداً خميس ، البارحة خميس ، .... " دوام يبدأ في الثامنة ظهراً ، وليل يهبط في العاشرة صباحاً ، وكرة الثلج الساخنة تكبر وتكبر ، ثم تذوب " (3)

"عتمة في وضح النهار ، الصدأ يلمع ، أنا خائف ومرعوب مما لا يجري " (4)

" تبادلنا التعازي بالعيد " (5)

" عتمة ناصعة السواد " (6)

" أيام متشابهة ، مثل كهول في غرفة خداج " (7)

وطمليه بارع في قلب المعاني لتصريح مفارقاته مؤثرة في المتلقي ، تنم على قدرة إبداعيه ؛ مما يجعله محسناً في التصرف بالألفاظ ، ويعبر هذا القلب في الألفاظ عن نفسية الكاتب وأحواله

1- طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ص27 .

2- المرجع السابق ، ص 101 .

3- طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ص33 .

4- المرجع السابق ، ص 114 .

5- طمليه ، محمد و حجاج ، عماد ، يحدث لي دون سائر الناس ، ط 1 ، 2004 م ، مؤسسة أبو محجوب للنشر والتوزيع ، عمان ، ص 32 .

6- طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ص 243 .

7- المرجع السابق ، ص18 .

المتعبة التي يخيم المرض عليها .

الكاتب هو صانع المفارقة وهو الضحية في الوقت نفسه ، فهو المريض وهو المعاني ، ومع ذلك يحاول إقناع الآخرين بأنه ليس مريضاً ، مع حجم المعاناة التي يعانيها من مرضه .

وفي مقالة " سباق الضاحية " لفخري قعوار ، يسرد فيها قصة لحقيبة ، قد رآها فرحان فرح سعيد في طريق عودته من البيت ، وبقي وقتاً غير قليل في محاولة اخذ الحقيبة ، ومعرفة ما فيها ؛ ولكن بعض المواقف التي كانت تحدث من مرور الطلاب بكثرة حالت دون ذلك ، إلى أن جاء مدرس التربية الرياضية وقام بأخذ الحقيبة ، فحاول التحدث إليه لكن ذلك لم يفلح :

" حتى مر رجل قليل الملابس مثل الآخرين ، وسأل عما إذا كان الحكم قد أخذ حقيبة الإسعاف ، فأجابه فرحان بأسف وأسى :

– نعم ، وقد كنت أحرسها لكم " [1] .

وبعد انتظار طويل في محاولة أخذ الحقيبة ومعرفة ما فيها ، تأتي المفارقة في أخذ الحقيبة وما تحتويها من أدوات ووسائل للإسعاف ، فأصبح فرحان كالحارس عليها ولم يفلح في أخذها .

وتبرز المفارقة في التضاد بين موقفين في مقالة لكامل النصيرات ، معنونة ب . " خذ الذبلة وطلقني " والمقالة تصف موكبا لجنازة رفيق له ، وعند ذهابه للمقبرة ركب مع أناس لا يعرفهم ، وفي طريقهم إلى المقبرة كانوا يسمعون أغنية " خذ الذبلة وطلقني " ، مما يعطي شيئاً من المفارقة، وتسرد القصة حتى تصل إلى المفارقة الكبرى وهي رؤيته للشخص الذي كان يستمع الأغنية قبل قليل وكانت حالته :

---

1 – قعوار ، فخري ، الأعمال الساخرة ، مراسيم جنازتي ، 2007 م ، أمانة عمان الكبرى ، عمان ، ص 156

" رجل يبكي بدموع غزيرة جداً جدا " [1] .

وفي مفارقة أخرى لنفس الكاتب في إهدائه لكتابه نكشة راس ع الأصلي ، الذي عنونه بـ :

– " إلى ولا حدا " .

والمتعارف عليه أن ينسب الإهداء إلى شخص ما ، يحبه كاتب الكتاب !

وفي مقالة أخرى لكامل النصيرات بعنوان " حينما ترأس دولة الرئيس الجاهة " ، يعرض لموقف متخيل ، ومضمون هذا الموقف هو أن يقوم الوزراء ورئيسهم بالذهاب مع المواطنين في جاهة ما ، مثل أن تطلب فتاة على سنة الله ورسوله لمواطن ما ، ويسرد الكاتب طبيعة هذه التجهيزات إلى أن يصل لتقاليد طلب العروس ، ليفاجأ الرئيس بأنه لا يوجد أي طلب لعروس في الجاهة ؛ لتتشكل حينئذ المفارقة بطلب العريس المفترض :

" أنا ما بدي تطلبلي عروس ، عند هاظ الرجل جرة غاز زيادة بدي إياك تطلبلي إياها ، وبرظو على سنة الله ورسوله !! " [1]

وعند كامل النصيرات نجد في كتابيه بعض المقالات المتسمة بالمفارقة ، نذكرمنها :

" كيف تعصّب على مسؤول بدون ما يزعل ، نفسي أخطف دولة الرئيس "

إن المفارقة في المقالة الساخرة واضحة وكثيرة ، وقد حاولنا توضيح تقنية المفارقة في بعض الأمثلة الواردة في المقالة الساخرة ، وقد وجدنا المفارقة حاضرة بقوة ، ففي كتاب الممعوط لأحمد حسن الزعبي نجد المفارقة في مقالات كثيرة ، منها :

" أحلام الخصخصة ، نيجاتيف ، اشلعها ، أسبوع اليتم العربي ، رصيع وطني ، احفظ هاللطش ، الرمق الأخير ، السباق ، النفس الوحامة صلة لحم ، وين شايفك "

---

١ – النصيرات ، كامل ، نكشة راس ع الأصلي ، 2006 م ، مطبعة الروزنا ، عمان ، ص 65 .

2 – النصيرات ، كامل ، تنفيس ، ط1 ، 2009 م ، المكتبة الوطنية ، عمان ، ص37 .

وفي كتابه سواليف نذكر أبرز المقالات التي اتصفت بالمفارقة :

" تع بورد ، شروا من عندي ، ومسيك بالخير "

أما في كتابه " أوجاع وطن " فنجد المفارقة في المقالات الآتية:

" تصبحون على رغيف ، مسك اليد ، مفحج عالسيبة ، يزاحموننا حتى في آلامنا ، الشقيق ، شكراً ، الظل ، الوسيلة "

أما يوسف غيشان فقد كثرت المفارقات في مقالاته الساخرة ، ففي كتابه " شغب مساخر في زمن المباخر " نجدها في :

" أحزاب الإفراج ، الساعة الخامسة والعشرون ، ثلاثة في واحد "

وفي كتابه " مؤخرة ابن خلدون :

" جدي أرخميدس ، سيناريوهات الوحدة ونص ، الجهاز ، العقل المدبر ، سن الحمار ، وإذا أتتك ..... "

وفي كتابه برج التيس :

" أسفاط ، ذكريات من بيت الأحياء ، الكيميائي الأول ، يحكى أن ، لعين الحرسة "

وفي " يا مدارس يا مدارس " نجد أبرزها وهي :

" الأربعاء 19 /1/ 1956 ، حفل شواء "

قام الكتاب الساخرون في الأردن _ من خلال توظيف المفارقة _ ؛ بإيصال رسائلهم دون تشويش أو غموض ، معتمدين في ذلك على الوضوح والبساطة في تعاملهم مع النصوص الساخرة المتصفة بالمفارقة .

وللمفارقة دور بارز في إعطاء النص بهجة وسروراً من خلال التلاعب بتوقعات القارئ ، وذلك عند اكتشافه لخدعة المفارقة .

لقد طغت المفارقة على المقالة الصحفية الساخرة في الأردن ، وقد عبر الكتاب الساخرون عن هذه التقنية في مقالات شتى ، ومن خلال تتبعنا لهذه التقنية لدى الكتاب رأينا أن أحمد حسن الزعبي ومحمد طمليه ويوسف غيشان من أكثرهم استعمالاً لهذه التقنية .

اللهجة العامية :

لأن المقالة الساخرة موجهة للشعب ؛ فقد ناوب كتاب الأدب الساخر في الأردن بين الفصحى والعامية ، فلا تكاد تخلو مقالة من استعمال ألفاظ أو عبارات تتصف بالعامية ، ولا يخفى على القارئ ما تضفيه العامية من جمالية على النص وإعطائه منحىً إبداعياً ، كما يضفي مزيجاً من الاطمئنان والراحة تجاه قارئ النص .

وتعبر المقالة الساخرة في الأساس عن هموم الشعب وتطلعاتهم ، كما تقوم على تحفيزهم ودبّ الحركة فيهم من خلال إنارة أفكارهم ، وفي اللهجة العامية طريق للوصول إلى هذه الأهداف .

وتعين اللفظة العامية على تبسيط النص والولوج إلى أعماقه وأفكاره ، فالكاتب الساخر يدخل في مقالته العامية آملا من ورائها إيصال المعنى وأفكاره ، فالعامية في الأدب الساخر لها دور بارز في إبراز أفكاره ، وقد شاع استخدامها عند كتاب الأدب الساخر ، لذلك فقد لجأ الكتاب الساخرون إلى استخدام العامية مع الفصحى في كتاباتهم _ وإن كانت عيباً _ لأنها تشكل ضرورة مهمة حتى تصل الكتابة الساخرة للقارئ مهما كانت طبيعة ثقافته ، فتصبح المقالة الساخرة موجهة للطبقات كلها وليست للمثقفين فقط .

وقد تكون اللهجية المحكية في الحوارات المدرجة في المقالات أقدر من الفصحى في الإيضاح واستحضار المواقف وكشف أسرارها .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المفردات العامية موجودة في الواقع الذي يعيشه أفراد المجتمع ؛ غير أن بعضها قد تكون مستعصية على الفهم لدى بعض القراء ، وذلك حسب بيئته ، فهناك ألفاظ قد يختص بها البدو عن الحضر ، ومهما يكن ، فان معظم هذه الألفاظ معروفة ، ويسهل على من لا يعرفها التوصل لمعرفتها .

وتمنح المفردة العامية شكلاً من أشكال التواصل بين القارئ والنص ، فتفسح أمامه المجال للضحك والتنفيس عما في نفسه ، وتساعد على إيضاح النقد الموجه في المقالة بكل يسر وسهولة .

يتفاوت استعمال العامية من كاتب لآخر ، من حيث كثرتها وقلتها ، كما يتفاوت في دقة استعمالها وقوة وقعها ، فنجد لفظة ما قد وظفت في مقالة ما بشكل قوي وهادف تحدث أثراً كبيراً في المتلقي ، وقد نجد مفردة ما تجيء في نص ساخر آخر لا تؤثر على المتلقي كما أثرت لفظة عامية أخرى ، وهذا شيء طبيعي ، ويبقى التمايز بين كتاب السخرية في دقة تناولهم لهذه العامية .

وإذا تتبعنا المفردة العامية في المقالة الصحفية الساخرة ؛ فإننا نجد استعمالها في ثلاثة أمور سنحاول من خلالها إيضاح اللهجة العامية :

أ – عناوين الكتب ب – عناوين المقالات . ج – نص المقالة .

ففي العناوين التي اشتملت على طابع عامي ، نقف في البداية مع أحمد حسن الزعبي في كتابيه ، " سواليف " و " الممعوط " وتتدرج هاتان اللفظتان في الحياة العامية الأردنية ، فكلمة سواليف تعني الأحاديث والحكايات التي يسردها الناس لبعضهم ، تستعمل كثيرا في أحاديثنا اليومية ؛ مما يجعل القارئ متشوقاً لمعرفة طبيعة هذه السواليف ، ويعبر عنها في بعض الأحيان للدلالة على قلة أهميتها ، و تعطي كلمة الممعوط آفاقاً واسعة للقارئ في تخيل اسم الكتاب المضحك والمبكي في نفس الوقت وذلك من خلال التركيز في مقالاته وفهمها .

وأما يوسف غيشان فعنون أعماله التي كتبت في الأدب الساخر قبل عام 2007 م ؛ بعنوان " أولاد جارتنا " وعلى غرار من تجمع أعماله ويكتب على الغلاف الأعمال الكاملة ، فان غيشان آثر إلي تبديل " الكاملة " بـ " الهاملة " لتصبح " الأعمال الهاملة " ، والهاملة من الإهمال وهي مستخدمة بامتياز في اللهجة العامية ، وتطلق على الشيء الذي نرى فيه عيبا ما ، فقد تطلق على إنسان أخلاقة رديئة وقد تطلق على جماد أو حيوان أو ما شابه ذلك من الأشياء المادية ؛ لإظهار وتوضيح ما فيه من اختلاف عن غيره من الجنس نفسه . وقد احتوى عنوان كتابه الأخير صفة العامية أيضاً وهو : " هكذا تكلم هردبشت " والهردبشت كلمة عامية تقال للشخص الذي لا قيمة له ولا يسمع لكلامه ، وهو شخص لا أهمية له في نظر الناس .

ولكامل نصيرات عنوان‌ان لكتابين حملا مفردات عامية وهما : " تنفيس : و نكشة راس ع الأصلي، نصوص ساخرة إلا شوية " ولأحمد أبو خليل " بؤس الفسفسة ، تمارين في الكتابة الساخرة " وفي مصطلح الفسفسة ما يدل على الإحساس باللفظة العامية .

وتتميز هذه العناوين ببعدها الساخر ، حيث تعبر عن وجهتها في السخرية والنقد ممزوجة بالضحك ، ولأن العنوان أول ما يلتقي به القارئ ويلفت انتباهه ، فقد آثر هؤلاء الكتاب وضع مفردة عامية في ثنايا العنوان ، أو قد يكون العنوان بأكمله .

وإذا انتقلنا إلى الشق الثاني وهو العناوين التي توسم بها المقالات ، فعند احمد حسن الزعبي نجد عناوين المقالات المدرجة في كتبه تشتمل على المفردة العامية ، ففي كتابه "سواليف" نعثر على عناوين ترتبط بالعامية ، منها :

" شروا من عندي ، زعرنة ، ثقافة العرط ، فوق الهم زقلبة ، مسيك بالخير ، يخسا الذيب "

وفي كتابه الممعوط نجد أيضاً عناوين ذات طابع عامي : " اشلعها ، بلا زغرة ، أسافين ، احفظ هاللطش ، جهد بلا ، القزدرجي ، ومن قال عاش ، قو الغانمين "

وفي كتابه الأخير " أوجاع وطن " نجد الألفاظ الآتية في عناوين مقالاته : " مفحج على السيبة ، فزّاعة ، الصيت ولا الغنى ، حفتلة ، تنشيف ، أولاد المسعدين .

وعند غيشان نجد اللفظة العامية حاضرة في عناوين مقالاته في أعماله الساخرة :

" زلمة جلك الله ، مجاقمات ، مداقرة ، العبزطروط ، النشمي ، الطوبرجي ، البرغي ، خمخمة ، هكذا تناغش هردبشت ، على ذمة هردبشت ، مزغر هردبشت ، هكذا تفشخر هردبشت ، هكذا تقلط هردبشت "

وعند كامل نصيرات نجد : " طلب قرضة ، مقلب طقع ، دروب الزعرنة ، ولك يلعن أبو جوعك "

وعند أحمد أبو خليل في كتابه " بؤس الفسفسة " :

" مدخل إلى ضبضبة الطوابق ، اطلع من هالأبواب ، اهبر هبرتك وامش ، نهاية عصر اللطع عالتلفون ، تغير مواصفات الخبر البايت ، لماذا قبّعت مع المواطن معزوز ، على شواربي وهل يخفى القمر ، خليها علينا "

ونجد اللفظة العامية الشعبية عند الكاتبة هند خليفات في عناوين مقالاتها الآتية :

" العراط ، كف ارباعي، إلا الجميد، النقوط، جوجل الجفر، الخاشوقة، الزبايل، خروع، لحافات، سخام تون، طشاش، فرفحينا، كاكي.. جيشي.. فوتيكي، مهو بلدياتي "

أما بالنسبة لظهور اللفظة العامية في نص المقالة فهو كثير ، وبما أن اللغة بشكل عام وسيلة للتواصل الاجتماعي ، فلا بد أن تحاول نقل الصورة والأفكار والمشاعر بكل يسر وسهولة ، كما يجب أن يتوخى في اللغة الدقة في انتقاء الألفاظ المناسبة التي تعطي للنص قيمة فنية .

ومن هذا المنطلق وجدنا أن كتاب المقالة الساخرة في الأردن قد بسطوا ووضحوا اللغة ، وابتعدوا عن التكلف والغموض وحاولوا الاقتراب من متلقي النص الساخر وقارئه ، ولعل في استخدام اللهجة العامية دليل على ذلك .

وكان من أبرز الكتاب الّذين وظفوا اللهجة العامية والمفردة الشعبية بدقة ، وأكثر منها ؛ أحمد حسن الزعبي ، ففي مقالته " الممعوط " ، يلاحظ استخدامه للعامية بكثرة ، كما في الفقرة الآتية :

" لم أعد قادراً على تحمل نفسي ، لقد فشلت بالبقاء كبني آدم ، وتلعثمت في ترجمة السطر الأول من الألم ، (زهقت) من رائحة جلدي المحترق ومللت ممارسات (بلع الريق) و (خزي الشيطان) وكظم الغيظ ومشي (الحيط الحيط) [1] .

فالألفاظ " زهقت ، بلع الريق ، خزي الشيطان ، الحيط الحيط " ألفاظ عادية ؛ لكنها حين توظف في سياق مشحون بعاطفة الألم والحسرة ؛ تصبح ذات معنى قوي يحمل بين طياته الكثافة وقوة التعبير عن أفكار الكاتب وتطلعاته .

وفي مقاله " ثقافة العرط " يعرض الزعبي بعض عادات الناس في الأفراح ، وقد استعان فيها باللفظة العامية ، وذلك في قوله :

" بفعل الإرادة تخلصنا من بعض العادات السيئة والحسنة على حد سواء ولم نستطع أن نتخلى عن ثقافة العرط " ونفش الريش " ... قبل سنوات قدمنا كوكبة من القتلى والجرحى يزيد عددهم عن ضحايا معركة محترمة ، وذلك بسبب إطلاق العيارات النارية طمعاً ب " زغروتة " أو مقطع صغير من مديح ينتهي ب" تسلملي يا أبو محمد " فيقوم أبو محمد بعدها بذبح نصف

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص15 .

الحاضرين بحميته ومسدسه " اللي بردف "   " [1]

ويتابع سرد هذه الوقائع مضمناً بعض الألفاظ العامية مثل : " الطّخ ، الشنّيك ، النازلة ، الطالعة ، قلّة عقل " [2]

وتعطي هذه الألفاظ للنص إقبالا كبيراً من القارئ لقربها من حياته العامة ، كما تحدث نوعاً من التفكير في هذا النقد البناء الذي تعالجه المقالة ، ففهم المقالة على هذا النحو يجعل السخرية والمفارقة تؤتي ثمارها في الحد من هذه الأساليب الخاطئة في المناسبات .

وفي مقالة للزعبي بعنوان " أهلاً بالحمير " ، تتعمق اللفظة العامية لتصل إلى ورود مصطلحات خاصة بمضمون المقالة التي تناقش الفوائد الاقتصادية والسياسية والبيئية والاجتماعية والميكانيكية ..... ، وهذه الفوائد التي طرحها الكاتب في هذه المقالة تمتزج بطرح الدلائل الساخرة لإثراء الموضوع المناقش ، وسنسرد بعض هذه الألفاظ العامية :

" الخبر يبشر بـأن عصر الحمير سيعود قريباً ، كما يعتبر مؤشراً قوياً إلى أن سعر الجحش سيشيط ، في جميع الدول المستهلكة للنفط ، بصراحة أنا مرتاح لعودة الحمير كوسيلة مواصلات ونقل واتصال وفشة غل " [2] .

فالعبارات : الجحش ، سيشيط ، فشة غل ، تدخل في العامية بوضوح ، ومن ثم يسرد الأسباب لارتياحه من عودة الحمير ، وتظهر في هذه الأسباب ألفاظ تتضمن معاني مكثفة وخاصة في طرحه للأسباب الميكانيكية والاجتماعية : " من حيث الأسباب الاجتماعية : " سنتخلص نهائياً من مظاهر الحسد ، فلن يكون هناك عبارة :

1- الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ط2 ، 2009م ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، ص79 .

2- المرجع السابق ، ص 79 ، 80 .

3- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 73 .

فلان معه حمار السنة ، وأنا معي حمار الثمانية وثمانين ، ولن نسمع بعدها العتب التالي :

" كان جاعص على حماره ، ولا رد عليّ السلام " ، ... ، ولا حتى عبارة : (طول نهاره مقعدها جنبه على الحمار وطاش فيها ... ، أو حتى عبارة يوم شافني زر عالحمار وطلع دخنة . كما لن يقوم أي من أبناء الذوات باستخراج حمار من الوكالة ، يملؤه " فل شعير " ويبدأ بالتخميس في شارع الجامعة . " [1]

وهذه الألفاظ مختزلة في فكر الشعب ، ويمارسونها أو يسمعونها في مكان ما ، ولعل هذا يساعد على فهم مضمون السخرية ، ومضمون المقابلة بين الحمار والتكنولوجيا الحديثة (السيارات) وما فيها من الفكاهة وحسن الوصف ، ودقة الملاحظة .

لقد ارتكز معظم الكتاب الساخرين على اللهجة العامية في مقالاتهم ، وإذا جئنا نذكرها فهي كثيرة ، لكننا سوف نقوم بدراسة ما كانت العامية بارزة فيها .

ففي مقالة لغيشان بعنوان " رسالة هردبشتية " ، يكرر في المقالة لفظة " شلّوط " وتعني الضرب بالقدم ، وقصة المقالة تتحدث عن نيته لشراء لاعب حتى يقوم بممارسة الشلاليط على بعض الناس كما يرى في المقالة :

شلّوط على مؤخرة كل عربي يعمل على تكريس الانقسام .

شلّوط لكل نائب ينسى دوره التشريعي .

شلّوط لكل ، شلّوط لكل مرتشي ، شلّوط لكل راشي " [2]

وهكذا ، فإن للمقالة هدف قد قامت بإيصاله ؛ عن طريق استخدام هذه اللفظة العامية الدارجة

---

1 - الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 75 .

2- غيشان ، يوسف ، هكذا تكلم هردبشت ، ط1 ، 2011 م ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان ، ص 98 .

وكذلك فعل في مقالته مجاقمة التي تكررت في المقالة على سبيل التضاد والمقابلة أكثر من عشر مرات ومنها :

" الحكومة تجاقم الجميع ، والجميع يجاقم الحكومة . "

" الحكومة تجاقم الأحزاب ، والأحزاب تجاقم الحكومة " . [1]

فكلمة " مجاقمة " أعطت للنص بعدا عامياً يدرك الناس فيها معنى المقالة من خلال العنوان الذي اتصف بالعامية .

وتنشط اللهجة العامية بشكل لافت في الحوار المدرج داخل المقالة ، ونجد ذلك عند الزعبي في مقالته " النفس الوحّامة " ، فهو يعرض لمشهدين ساخرين ، من خلا حوار بين شخصيتين ، أم العيال وأبو العيال في المشهد الأول ، وبين أبو يحيى ونزّال في المشهد الثاني ، ويقوم الحوار على المفارقة والسخرية من خلال غلاء أسعار المشتقات النفطية وقد ملأ الكاتب المشهدين بألفاظ عامية رسمها بحوار ساخر ، وسأذكر المشهد الثاني للتدليل على ذلك :

أبو يحيى : والله ما دريت غير اليوم عن أبو طايل .

نزّال : الله يرحمه ، مات ميتة .. ولا أحلى من هيك .

أبو يحيى : كيف ؟

نزّال : صلى العشا جماعة ، وروّح وتعشّى " معلاق " ، وطرق وراه " ابريق شاي " .. وحط راسه ونام .. أثاريه تارك صوبة الغاز شغّالة للصبح .. ومات مخنوق بريحة الغاز .. شوف ما أحلى هالميتة .

أبو يحيى : على شو حاسده ما دام مات " مخنوق " .

1- غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، مؤخرة ابن خلدون ، ص113 .

نزّال : مالك يا رجل ، مات وريحة الغاز بخشومة ... شو بدك أحسن من هيك ". (1)

ولو التزمت هذه المقالة الفصحى ؛ لما استمتع القارئ فيها ، فقد كان وقع العامية واضحاً في التعبير عن الفكرة الواردة في المقالة بكل سهولة ويسر دون تكلف أو عناء ، وكذلك الأمر في مقالته " على حطة إ يدك " من خلال الحوارات التي تجري بين مغترب وعائلته ، ومقالته " مكالمة دولية مع ميت " .

وعند غيشان نجد ذلك في مقالته ما عليها حكي ، من خلال إدراج شخصيتين الأولى أبو باجس الذي اشترى دخان " الهيشي " من الشخصية الثانية في الحوار وهو أبو باسيل ، وجرى بينهما هذا الحوار بعد معرفة أبو باجس بان أبو باسيل غشه :

أبو باجس : يا زلمة شو هالهيشيات ... ... خلصت عليهن كرتونة كباريت ، كل هفة بتطفي السيجارة ، والله ما اتهنيت ولا بشفطة !!

أبو باسيل : شو كنت بتسوي وانت بتدخن ؟

أبو باجس : كنت بسولف أنا وأبو محمود !!

أبو باسيل : يعني كنتوا تحكوا ؟

أبو باجس : أي نعم ، شو يعني بدنا نغنّي ؟

أبو باسيل : مش أنا قلت لك انه هالهيشيات ما عليهن حكي ؟! يعني لازم اتدخن السيجارة بدون حكي ، وهيك ما بتطفي معك ! (2) .

ونجد عند غيشان في مقالاته حوارات كثيرة تقوم على العامية ، مثل :

" خمخمة ، هكذا يريدون إسكاتنا ، تمريض هردبشتي ، قصة هردبشتية "

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 134 .

2- غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، مؤخرة ابن خلدون ، ص 115 .

ولا ننسى الأمثال أو ما جرى مجراها ، والتي تسرد في المقالات بغية المقارنة أو التورية والتعريض بحدث ما ، ومن هذه الأمثال : " الحي أبقى من الميت ، فوق الهم زقلبة ، قلة الشغل بتعلم التطريز ، المي بالبير بدها تدبير ، الصيت ولا الغنى ، الباب اللي بيجيك منو الريح ... سدّو واستريح ، عيشة من قلة الموت .... "

إن استخدام أسلوب الحوار بشكل عام يساعد على تبسيط وتوضيح الفكرة ، وهذا من أهم أهداف كاتب المقال الصحفي ، فلا بد من كاتب المقال أن يعايش الناس ويعبر عما يجول في خواطرهم ، وما يسعون له من آمال وتطلعات .

يسعى الكاتب من خلال توظيفه للحوار في المقالة الساخرة إلى إيهام القارئ بالواقعية ، وإبعاده عن الملل عن طريق بث الحيوية والنشاط في النص .

إذن ، تعد اللغة العامية (وسيلة اتصال) ، وهي في الأساس (وسيلة تعبير) ، وتحمل مضامين معيّنة يريد الكاتب الساخر الإفصاح عنها، بصورة مباشرة، أو غير مباشرة ، لتتحقق الفائدة المرجوة من هذه الألفاظ .

ولا بد من الإشارة إلى أن استخدام اللهجة العامية بكثرة يحد من انتشار الكتابة الساخرة الأردنية في باقي الأقطار العربية ، حيث إن معظم الألفاظ العامية الساخرة في المقالة الأردنية تختص بلهجة الشعب الأردني .

أخيراً ، لقد غزت اللهجة العامية المقالة الساخرة في الأردن ، والمقالات كثيرة ، فلو تتبعنا العامية في المقالة الساخرة في الأردن لوجدنا أن هناك اتفاق على إدراج اللهجة العامية مع التراكيب الفصيحة ، ووجود العامية في ثنايا اللغة الفصحى ؛ يجعل منها لغة يسيرة ، وسهلة الفهم ، ولعل وجود العامية يبعد القارئ عن الملل ، ويبعد اللغة عن الجمود ؛ لتصبح المقالة الساخرة في

الأردن قائمة من أجل المجتمع في الترفيه والتنفيس عنهم ، ونقد سلوكاتهم السلبية ، وسلوكات من يقوم على تطويع منصبه لنفسه .

التصوير الهزلي (الكاريكاتوري) :

من الأساليب التي لجأ إليها الكاتب الساخر التصوير الهزلي الذي يبالغ في عرض الشيء أو الشخصية المسخور منها ، فتصوير شخصية ما بشيء من الهزء . كتصوير أعضائه وتضخيمها أو التقليل من شأنها . يجعل نص المقالة أكثر وضوحا ودقة ؛ فعندما يصور موقفاً أو شخصية تصويراً هزلياً ، فإن هذهالتقنية تساعد القارئ على التواصل مع النص وفهمه .

وهذا الفن _ التصوير الهزلي _ كان حاضراً في الأدب العربي ، ولعل من أبرع الأدباء الذين استخدموا هذه الطريقة الساخرة ؛ الجاحظ ، وذلك في رسالته " التربيع والتدوير" التي وصف فيها أحمد بن عبد الوهاب وصفاً كاريكاتورياً ساخراً ، ولعل في هذا المثال الذي انقله من بداية رسالته دليلاً على تصويره الكاريكاتوري :

" كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ويدّعى أنّه مفرط الطول ، .... وكان جعد الإطراف قصير الأصابع ، وهو في ذلك يدّعي السباطة والرشاقة ، وأنه عتيق الوجه ، أخمص البطن ، معتدل القامة ، تام العظم ، وكان طويل الظهر ، قصير عظم الفخذ ، وهو مع قصر عظم ساقه يدعي أنه طويل الباد ، رفيع العماد .... " (1)

وقد ظهر في المقالة الساخرة في الأردن صور كاريكاتورية توحي بالضحك والنقد والسخرية ، وتصور مواقف بأسلوب هازئ ومبالغ فيه .

1- الجاحظ ، رسالة التربيع والتدوير ، تحقيق شارل بارت ، 1955م ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ص 5 .

وتعبر هذه التقنية عمّا يمكن تصويره من أحداث وشخصيات ؛ حيث إنها صورة كاريكاتيرية تستحق أن ترسم ؛ فتوظف هذه الكلمات في صور كاريكاتورية موحية ، مما يجعلها لوحة معمقة بالأفكار الواضحة .

وتكمن أهمية هذا الفن في إعطاء صورة واضحة عن الموقف المعبّر عنه ، من خلال دقة التعبير ، ودقة الوصف في إخراج هذه العبارات والكلمات على شكل لوحة فنية معبرة عن أفكارها المرادة ، وكأن الكاتب يرسم رسماً ولا يكتب كتابة فقط .

كما يهدف كاتب المقالة الساخرة من التصوير الكاريكاتوري إلى تعرية الواقع ، وكشف العيوب والنواقض الاجتماعية فيه .

وسنحاول فيما يأتي تقديم نماذج ، نكشف من خلالها أسلوب التصوير الهزلي في المقالة الساخرة في الأردن .

عبّر كتاب المقالة الساخرة في الأردن عن أفكارهم وسخريتهم بالتصوير الهزلي ، لما له من أهمية بالغة في الإيضاح والتواصل بين النص وقارئه ، ففي مقالة لأحمد الزعبي معنونة بـ " مسك اليد " يصور موقفاً في قصة لا تخلو من الرمزية ، وهي بشكل عام تتحدث عن الذين ينهبون ويفسدون وفي نهاية المطاف يخرجون من جرائمهم دون أي حساب ، وقد صور الزعبي هذا الموقف بلص في قرية وهذا اللص عثر عليه وهو متلبس في سرقة فجاءت الصورة الكاريكاتورية بعدها ساخرة ومعبرة عن موقفها :

" نعتذر يا أخي عن هذا اللبس ، لا يوجد لدينا ما يثبت أنك " لص " ، صحيح أن أحدهم رآك تقفز عن الجدار ، فذاك كان في عز النهار ، صحيح أن باب المضافة وجد مخلوعاً ، لا عليك ، فذاك يحدث كل أسبوع .. حتى طربوشك المنسي فوق الصندوق المنهوب ، ليس دليلاً على ملئك للجيوب ، حذاؤك المتروك قرب الجاعد ، والشبرية العالقة في القفل المطعوج وعلبة

الهيشي المبعثرة بين الأوراق .. لا تعطي أبداً أي دليل .. على أنك حرامي أو بوّاق ، بصراحة ، إن الذين ألقوا القبض عليك ، تسرعوا في الحكم عليك .. بالمناسبة ، تقبل الله .. فقد وجدنا قرب الصندوق المكسور سجادة صلاة " (1)

إن التصوير الكاريكاتوري يرتكز على المبالغة في كثرة الدلائل التي تؤكد الحكم عليه بأنه لص ، ومع هذا تأتي هذه الدلائل مع تبرير لها ، مما جعلها صورة هزلية ساخرة ، فجاء الموقف هزلياً ناقداً يتسم بالرمزية ، والرمز هنا للذين يسرقون الأوطان وأموال شعوبها على مرأى منها لكن دون أن يقال عنه لص ، وكأن الكاتب هنا يعرض للقائمين على محاربة الفساد ، من خلال معرفتهم بالفاسد لكن دون الإمساك به أو التعرض ومحاسبته .

يساعد التصوير الكاريكاتوري على إبراز وخلق مشهد هزلي يعبر بالدرجة الأولى عن سخرية مأساوية سوداء ،

وفي مقالته " نيجاتيف " يعكس الزعبي صورة المواطن من خلال تصويره تصويراً كاريكاتورياً ؛ لا يخلو من السخرية والألم :

" مسكين هذا المواطن ، المحني كعود ثقاب ، البسيط كسيجارة ، المهموم كمطارد ، المنسي كشهيد ، ذو اللحية الشوكية والشعر المموج ، ذو السعلة الحادة ، والصوت المخدوش بك لمة ، صاحب الضحكة المبتسرة ، والأسنان المثلمة ، والشفاه الزرقاء ، المحروم من كل شيء . ذلك العائد إلى بيته بساقين نحيلتين ملتفتين فوق رصيف يومي لا تتغير ملامحه ولا تزداد أنّاته ، مسكين هذا المواطن ، لقد أصبح مثل (رسالة سلمى) كل يقرأه على هواه " (2) .

1- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص45 ، 46 .

2- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 11 .

توحي هذه الصفات بالمبالغة في الوصف والتصوير الهازل ، وتعطي حساً بالشفقة والحزن ، وكل صفة أو صورة من الصور السابقة تمثل تصويراً كاريكاتورياً ، ولم يكتف الكاتب في تصويره عند هذا الحد ، بل عمّق الكاتب التصوير في نهاية المقالة بعد أن ذهب هذا المواطن إلى " استديو" عتيق ليتأكد أي الأشياء هو ، وبعد الانتهاء جاءت الصورة :

" مسكين حتى صورته ظهرت " نيجاتيف " [1]

لقد ساعدت المفارقة في هذه المقالة على توضيح الصورة الهزلية الساخرة وبيانها ، ومعاناة المواطن في ظل الظروف التي يعيشها ، وهي سخرية مرّة تعتصر ألماً خفياً صامتاً ؛ كصمت الصورة الـ " نيجاتيف " التي خرجت باهتة لا ألوان فيها ، وهذه الصورة تشتمل على إدانة بطريقة غير مباشرة لمن كانوا السبب في تعاسة المواطن وشقائه .

وفي مقالة " مصيف الغور " ، يصف فيها الزعبي الموظف الخارج من مكان عمله وصفاً يدل على تعاسته وبؤسه :

" يكون في جيبه أوراق كثيرة ، هويّات وعناوين ، إعلانات وظائف رخصة سواقة استخرجها منذ سنسن ولم يستخرج السيارة بعد ، في يده كيس خبز ، وآخر تظهر منه عروق خضراء ، قميصه متهدل ومنفلت من الحزام يقف عند كل بسطة يختار ويفاصل ، ثم يترك ويعاود المسير ، يستوقف " البكمات المارّة " ، يختار ويفاصل ، ثم يترك ويعاود المسير ، يقف عند جميع الفترينات الزجاجية ، يتأمل كل شيء معروض ، وعندما يخرج البائع ويناديه :

" اتفضل أبو الشباب " ، يوهمه أنه يهندم لباسه على واجهة المرآة ، م يعاود المسير " [2]

1- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 45 ، 46 .

2- الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص 95 .

لقد صور الزعبي الموظف تصويراً يدل على بؤسه وما يعتريه من فقر وشقاء ، فقد أفنى عمره بين المكاتب والورق والمراجعين ، وتستمر الصورة الكاريكاتورية في وصفه للموظف وشقائه في بيته :

" ماذا سيطعم أولاده في آخر النهار .. " صينية أختام ، وشوربة " طوابع " ، ومقالي " أرقام وطنية " و " صور هويات " ... على الفحم ؟! ماذا سيجيب ابنه إذا ما طلب مصروفه ؟ " تعال بكرة " ! ... كما يقول للمراجعين ، أو معاملتك مش عندي " [1]

عبّرت هذه الصور الكاريكاتورية المستمدة من الواقع عن المعاناة التي يعيشها المواطن بشكل عام ، وموظف الحكومة بشكل خاص ، والسخرية هنا من قلة ما يتقاضاه الموظف الحكومي وما يعانيه في ظل ارتفاع الأسعار ، وقد ربط الزعبي هذا الواقع بأمور المعيشة التي تطمح لها كل أسرة بسيطة من طعام وشراب وبعض المال لتسيير أمور الحياة البسيطة .

وتبرز الصورة الكاريكاتورية لدى الزعبي في مقالته " دجاجة الجمعة " ، وقد حملت هذه المقالة صورتين حركيتين توحيان بقوة الأسلوب وبراعة الوصف وهزلية الصورة ، وتمنح الصورة الأولى بعداً هزلياً بسبب ارتفاع أسعار اللحوم وخاصة " الدجاج " ، وما تعنيه عند العائلات الفقيرة ، ويبين أهمية يوم الجمعة فقط لأنه اليوم الوحيد الذي تؤكل فيه هذه الدجاجة ومن وصفه لها :

" إن بعض الأمهات اللواتي يخفن على صغارهن من الصدمة العصبية ؛ لشدة الفرحة بـ " الدجاجة ، يرين الأطفال المائدة على عدة مراحل ، ومن وراء ستار ، ثم يحضنّهم حتى يروقوا قليلاً " [2]

1- الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص 96 .

2- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 37 .

تصف هذه الصورة الشغف الكبير لرؤية هذه الدجاجة ، مع وجود بعض الطقوس التي تؤخذ بالحسبان قبل البدء بتناول الدجاجة ، وما يعرض له الكاتب هو الغلاء الفاحش في أبسط لقم العيش الترفيهية إن صح التعبير .

وفي الصورة الثانية يأخذ الزعبي المتلقي إلى مشهد هزلي آخر ، تتعمق فيه الصورة الهزلية ، فيصور لنا العائلة وهي تتزاحم من أجل اقتناص جزء من أجزاء الدجاجة ، وهذا التصوير مليء بالتفصيل والدقة والتشبيه ، فالسدر ساحة معركة ، والمائدة ملعب لكرة قدم ، والعائلة هي الفريق :

" السدر بالنسبة للصغار ساحة معركة ، هناك كر وفر وخطط ومكر والتفاف أيضاً ، على العكس مما يعنيه للكبار ، خصوصاً بعد أن تتلاشى القطع المهمة ، فهو يعتبر ملعب كرة قدم ، وهم يمثلون الفريق الفائز والخصم لا احد ، ... لذا تكثر التمريرات البينية بين أعضاء العائلة ، أم يحيى تمرر سفينة بينية إلى " أبي يحيى " ، أبو يحيى يقوم بدوره بتمريرها بكعب الملعقة إلى يحيى ، يحيى يعيدها إلى نجلاء ، وبحركة رتيبة تعيد نجلاء القطعة إلى عبود القادم من جامعة مؤتة الجنح المدني ، آخذة بالاعتبار " عزوبيته " وافتقاده للوجبات المهمة ، عبود بدوره يأخذ من القطعة خزعة برأس الملعقة ويعيدها ثانية إلى خالد ... وهكذا حتى يصفّر الحكم " [1]

وفي مقالته رصيع وطني ، يصور الزعبي موسم دق الزيتون في الأردن تصويراً كاريكاتورياً معتمداً على سرد الجمل القصيرة تارة والطويلة تارة أخرى :

" في هذه الأيام يتحلق خمسة ملايين أردني حول حصيرة كبيرة، لرصع و (فغش) ودق الزيتون . إيقاع منتظم، و طج متبادل، وطاقات موجهة، وحوار بالمدقات و " شقف " البلاط تبين

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 38 .

أهمية مناسبة (الرصيع) لدينا " [1]

ومن النتائج المترتبة على هذا الرصيع وما يتخلله من دق وفغش وطجّ ؛ يرسم الزعبي صورة هزلية أخرى من خياله الإبداعي :

" حتى خيل لي أن دول الشرق الأوسط ، وشمال إفريقيا باتت تهتزّ تحت مدقاتنا و " دبشاتنا " الملساء ، وأن رجلاً مسناً في قبرص شكر الله _ دامعاً _ وهو يغطي زوجته المريضة بالروماتيزم عندما أفرغت دلوي الأخير منهياً حفل الرصيع ليلة أمس " [2]

إن استخدام الخيال والمبالغة هي من أهم ما تطلبه الصورة الهزلية ، والكاتب لم يبخل على النص بهما ، مما جعل هذه الصورة لوحة رائعة ، وساخرة في نفس الوقت ؛ وذلك في ختام مقالته التي يوضح فيها أهمية الرصيع بأنه مناسبة لتفريغ شحنات الغضب والكبت ، ويشبه الدول العربية بصورة ساخرة مؤلمة :

" على كل حال ، الشعوب العربية تشبه إلى حد كبير " زيتون الرصع " كلما دُقت أكثر فتحت فمها باسمة ضاحكة " [3] .

وفي مقالته مقتنياتي ، يسخر الزعبي من حال الكتاب ويضرب مثلاً متخيلا ، بعد أن يقابله بخبر مفاده " بيع مقتنيات مارلين مونرو بأكثر من مليون دولار " ويسرد الكاتب بعض مقتنياته ويتخيل أنها ستباع بعد وفاته كما آلت إليه مقتنيات مارلين مونرو ؛ في مشهد هزلي كاريكاتوري لا يخلو من دقة التعبير :

" فإذا ما مت بعد خمسين عاماً بجرعة زائدة من (الشنينة) سيقف أحد الورثة بمبنى مجمّع

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 32 .

2- المرجع السابق ، ص 32 .

3- المرجع السابق ، ص 32 .

إربد/ عند شبّاك باصات حجازي و بجانبه رجل سمين وطويل لا أعرفه " تخصّص مزادات " ، يبدأ بالنداء على دوّه على تري..مين يفتتح المزاد ؟ يلتمّ حوله مجموعة من الشباب والمهتمّين العسكر الذين ينتظرون باصات قراهم، وبعض النساء العائدات للتوّ من عيادات النسائية، وبعض بائعي الدخّان والسمسميّة، يقلّبون مقتنياتي " الفارطة " ، مكتوب على إحداها «علبة دهن القشب» دهن منها الكاتب أحمد الحسن يديه بتاريخ 22-3- 1989م ، الساعة السابعة وخمس وعشرون دقيقة صباحاً ، مقص شوارب الكاتب الراحل فلان الفلاني ، فرشاة حلاقة المرحوم ، فرشاة أسنان المغفور له ، علبة كيوي مرسوم عليها صورتي وأنا صغير، وتوقيعي كذلك ، مع شرح مختصر: هذه العلبة التي كان يأكل منها الفقيد ، فقد " عاش ماكل كيوي ومات ماكل كيوي أيضاً " [1]

إن المشهد يطول ؛ لكن نظرة متأملة تجعله لوحة هزلية معبّرة ، فقد أبدع في رسم الشخصيات والموقف والمقتنيات بشكل ساخر مضحك ، فإذا نظرنا وتأملنا إلى هذا الموقف سنجد أنه يصلح لأن يكون لوحة هزلية ، والكاتب يسخر من واقع الكتاب وقلة الاهتمام بهم في حياتهم فكيف بعد موتهم ؟ ويبني الزعبي سخريته مرتكزاً على المقارنة مع مارلين مونرو ، ويقوم هذا الوصف على الاختلاف الكبير بين كتابنا وكتاب الغرب ، ولا يريد الكاتب من هذه المقالة إلا أن يعطى الكاتب حقه في العناية والاهتمام ، ليس بعد الممات ، وإنما في الحياة كذلك الأمر .

لقد أحسن الزعبي التصوير الكاريكاتوري ، وكان بارزاً في رسم الصورة الهزلية وتوظيفها ونجد التصوير الكاريكاتوري عندهفي مقالات كثيرة ، منها :

1- الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص123 ، 124 .

" طقوس العامل في عيده ، بروفة للانبساط ، عيد شم الجميد ، جاهة تشارلز ، فوق الهم زُقلُبّة السياج ، فوبيا مزمنة ، الشقيق "

ويصف يوسف غيشان في مقالته " أبو عرب " شخصية لعسكري كان يعمل في مخفر م أدبا ، ويجمع بين دقة الوصف والوصف الكاريكاتوري في قوله :

" كان غوراني الأصل والفصل ، أسمر طويل مع هزال وراثي بدون عضلات ولا جسد معتاد على العراك ، وكان يحمل خيزرانة رفيعة مثله ، بدون رأس مدبب ، كان بسيطاً متواضعاً مع كشرة دائمة خلال العمل الرسمي ، بالمحصلة كان شخصاً محترماً " (1)

ولغيشان مقالات تناول فيها الصورة الكاريكاتورية ، نذكر منها :

" سيناريوهات الوحدة ونص ، أدق صور الشفافية ، تفتيل شوارب ، ديمقراطيات عربية ، العقل المدبر ، أطفال المزابل ، رياضة ونص ، عين الحرسة ، كل عام وانتم على قيد الحياة ، المتفرجون . "

وفي مقالة لطمليه بعنوان " الأدغال " يرسم الكاتب صورة هزلية مضحكة ، وذلك بربطه لعبارة مبتذلة توضع في مكان بارز داخل باصات النقل العام وهذه العبارة هي : " الرجاء عدم إخراج الرؤوس والأيدي من الشبابيك " ، ومن ثم يبدأ برسم الصورة الكاريكاتورية :

" هذا يعني أننا كنّا " قردة " ، فما أن يتحرك الباص من " الأدغال " في " العبدلي " ، ويخترق سبخات ومستنقعات و " أحواض تربية البعوض في أبو نصير " ، حتى تبدأ الجموع بالصراخ والتقافز من غصن إلى آخر . ويظهر طرزان في وضعية " كنترول " " (2)

وفي مقال آخر بعنوان " رجل أصلع " ، يرسم طمليه صورة كاريكاتورية مأساوية لنفسه

1- غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، برج التيس ، ص155 .

2- طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ص269 .

بسبب مرض السرطان ومضاعفاته :

" أخذت كيماوي وبدأ شعري يسقط ، وصار يمكنني أن انزع خصلات من رأسي ، كأنما وردة وأنا أنزع أوراقها النضرة ورقة ورقة : تحبني ، لا تحبني ، تحبني ، لا تحبني " [1]

ونجد التصوير الكاريكاتوري عند طمليه في المقالات الآتية :

" رائحة الهايبكس ، الرصيف ، صوبا بواري ، تقرير طبي ، الورشة "

وعند فخري قعوار نجد التصوير الكاريكاتوري بارزاً في مقالات كثيرة ، منها : " كيف تصطاد فأراً ، بنطلون الوزير ، قلم الوالد ، زملائي الشحاذون ، عظم الله أجركم "

لقد اتسمت المقالة الساخرة في الأردن بسمة التصوير الكاريكاتوري ، ولا يخفى على متلقي النص وقارئه ما توحي إليه هذه الصورة الكاريكاتورية التي تعبر بشكل من الأشكال عن عمق الفكرة ، وان كانت المبالغة صفة من صفاتها إلا أنها تصور لنا الواقع أعمق تصوير ، وتُخرج لنا لوحة فنية معبرة عن هذا الواقع ، وتبرز عيوبه وتناقضاته الكثيرة .

وتبرز في التصوير الكاريكاتوري صفتا الدقة والإيجاز للمشهد المراد التعبير عنه بصورة هزلية ، وهذا يجعل السخرية واضحة هادفة ، دون إسهاب أو استطراد ، لأن طبيعة التصوير الهزلي هو التعبير عن موقف ما ، بألفاظ يسيرة وأفكار مكثّفة .

---

1 – محمد طمليه ، إليها بطبيعة الحال ، ص 144 .

دقة الوصف :

يعد النمط الوصفي من الأنماط الأدبية التي تعطي القارئ تصوراً واضحاً للنص ، والوصف بشكل عام هو نقل أو وضع مشهد أو موقف ما ؛ سواء أكان الموقف خيالياً أم حقيقياً ، وذلك من خلال الألفاظ والعبارات المتضمنة في نص ما .

وقد يكون الوصف لمكان أو شخص أو أي شيء يريد الكاتب التعبير عنه ونقل صورته والوصف متنوع ، فقد يكون خارجياً أو داخلياً ، وينتج من توظيف تقنية الوصف في النص مشهد مميز ، مما يجعل النص أكثر وضوحاً في إظهار أفكاره وترابط خطوطه .

ولا بد لكاتب النص عند توظيفه للوصف التحلي بنظر ثاقب ، وملاحظة دقيقة ، وبراعة في التعبير مع إتقانه الربط بين أجزاء الشيء الموصوف ؛ من خلال إبراز صفاته الخارجية والداخلية التي قد تتضمن سلوكه وحركاته وأفعاله بالإضافة إلى مظهره .

وقد عبر كتاب المقالة الساخرة في الأردن في سخريتهم بهذه التقنية ، لما لهذه التقنية من أهمية بالغة في تصور المشهد أو الموقف المتضمن في متن المقالة الساخرة .

وقد وظف أحمد حسن الزعبي دقة الوصف في مقالاته كثيراً ، ففي مقالته " فزَّاعة " يرسم صورة موحية للغراب في بداية المقال :

" عظامها أغصان هشة ، ولحمها قش وقطن قديم ، جلدها خرق بالية ، عيناها أزرار قميص وفمها حجر .... " [1] .

وفي مقالته " الوسيلة " ينقل لنا الزعبي مشهدا وصفياً دقيقا وذلك بعد سرده للمشهد بضمير الأنا ، وقد ذهب لمقابلة أبي يحيى في بيته :

" دخلت من البوابة متقفياً أثر " البعر " المتقطع مثل علامات الترقيم ، إلى أن وصلت لموقع الذبح ، خروف بلدي سمين ، سكين مرفوعة على نصف بلوكة ،" مسن حديدي ، وفردة حفاية " ولادي " ، على الجهة المقابلة سيبة خشبية ، وصينية " تيفال " مركونة على الدرج القريب ". [2]

إن الصورة التي رسمها الزعبي تتصف بالدقة الفائقة التي أنتجت مشهداً حقيقياً ؛ وكان ذلك في وصفه للبعر بعلامة ترقيم ، وللخروف وما حوله من أدوات يحتاجها أبو يحيى في سلخه للخروف مما يلفت انتباه القارئ ويشده إلى التمعن في النص .

وفي مقالته السيناريو الكامل _ التي تحدث فيها عن عادات المجتمع في استقبال الحجاج وطبيعة الأسئلة المتكررة التي تُسأل دون أدنى فائدة _ وصف الكاتب هدية من الحاج أبو يحيى إلى أحد زواره :

" وقبل أن تنتهي الزيارة تغمز أم يحيى ابنتها الوسطى ؛ لتحضر كيس " أم موفق " وفيه ، سجادة صلاة ، وصرة حناء وخواتم مقاسات كبيرة ، وفرد لابن موفق الذي يرافق جدته " [3] .

وفي مقالة للزعبي أيضاً ، بعنوان : " البوط الصيني " يصف من خلال تجربته ومسيرته الرياضية المدرسية ؛ البوط الصيني بكل تفاصيله ، مما يضفي على الصورة نوعاً من التأمل والدقة :

---

1 – الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 51 .

2 – المرجع السابق ، ص 69 ، 70 .

3 – الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 109 .

" مصنوع من القماش الأسود ، وله نعل ومسامير مطّاطية على شكل حبات " الكاجو "يحيط به خط أبيض رفيع ؛ يعطي جمالية على اللون الحالك الأصلي ، وله رائحة شهية ترافقه من المصنع في الكيس نفسه ، ما أزال أذكرها .. يصدر صوتاً مخجلا عندما يدخله ماء أيام الشتاء " [1] .

وفي مقالة له بعنوان " نيّاله " يصف لنا شخصيته أبو يحيى بصفة حركية ، والصورة هنا متحركة ، وهذا الإحساس في رسم الصورة المتحركة يعطي دقة في الوصف والملاحظة ، مما يحفز القارئ على الانغماس في الصورة الدقيقة للشخصية :

" لف ثوبه حول خصره جيداً ، وادخل نهايته بإحكام تحت خاصرته اليسرى ، ثم قام بـ " كفّ " ردني الثوب عن ساعديه بينما علامات الابتهاج والحماس تبدو واضحة على وجهه " [2]

وفي مقالته " الشوفير " ، يبلغ دقة الوصف ذروته عندما يصف موقفاً لركاب باص عمومي ، كما يصف فيها طبيعة هذه المركبة وسلبياتها ، وهذا الوصف الدقيق يحفز قارئ النص على استحضار الموقف أو المشهد بكامل حيثياته ؛ دون غموض أو تكلف ، مما ينعكس إيجابياً على قراءته للنص :

" حرر أحدهم كتفه من تحت إبط الآخر ، كما تململ الراكب الأوسط في الكرسي الأخير و أخرج ذراعيه وضمهما بين فخذيه ، بينما عمدت سيدة بوضع حقيبتها بينها وبين الراكب الذي يشاركها المقعد المزدوج ، وأشاحت بوجهها نحو النافذة " المشعورة " الطريق طويلة ومملة ،

1- الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص27 .

٢ -الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص125.

والمقاعد ضيقة جداً حتى الفرامل ضعيفة والغيارات لا تستجيب في بعض الأحيان ، والنتيجة مطبات كثيرة التهمها الباص ، وتصدت لها رؤوس الركاب ومؤخراتهم ، الهواء المار من الزجاج المكسور هو الناطق الرسمي الوحيد باسم " الرحلة " ، بينما يشكل التعطل المفاجئ للمركبة هاجس الجميع . " [1] .

وفي مقالته " من تحت الخزان ، تبدو السمة الوصفية واضحة عندما صور لنا المكان الذي استلقى فيه طلباً للبرودة والرطوبة ، بحيث يصبح المكان متخيلاً بدقة ووضوح :

" بصراحة المكان عامر ، هناك عظام " زغاليل " و " زنبعة " إبريق وضوء ، و " قعمة عرنوس ، والكثير الكثير من ملاقط الغسيل " [2] .

وأما بالنسبة لمقالات الزعبي التي اتسمت بدقة الوصف ، فمنها :

" ملح الدار ، انتصارات شخصية ، خروف العيد ، شراك الذاكرة ، اكزوزت "

وفي مقالة لمحمد طمليه بعنوان " جنازير تتدلى من الأسفل " يصف فيها غرفة للعمليات مع ذكر الشخوص الحاضرين في الغرفة :

" كان ثمة في الغرفة مدعي عام جنايات ، ورجل دين ، ومندوب من الشرطة ، وحبال مركونة في الزاوية ، ووفود طلابية جيء بها من أجل أن تتعظ ، وأطباء ، وأطباء صف ، وممرضون ، كانوا يرتدون ثياباً فضفاضة ، تصلح للنوم أيضاً وكانوا يضعون على أفواههم

1- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 127

2- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص127 .

وأنوفهم كمامات يتناسب لونها مع غطاء الرأس " [1] .

المشهد هنا واضح ودقيق ، فقد وصف الكاتب المكان بكل تفاصيله من حيث الشخصيات المتواجدة فيه ، ولباسهم ، ولعل وصفه للحبال المركونة في زاوية الغرفة فيه عمق ما ؛ إذا تصورنا أن الغرفة خالية من كل شيء إلا هذه الحبال ، ولعل ما ترمز إليه هذه الحبال هو الموت المتمثل بالمشنقة .

وإذا ذهبنا إلى الكاتب يوسف غيشان ، نجد سمة دقة الوصف حاضرةً في مقالات كثيرة ، ففي مقالة الحلاق يصف بدقة " دكان أبيه " وما تحتويه من أشياء :

" دكان أبي ذات باب عملاق يحرس عدة مرطباتات فارغة ، ونصية حلاوة ، وبرميل كاز ناهيك عن ماكنة حلاقة يدوية ذات مشطين " [2] .

ونجد دقة الوصف في مقالاته :

" شارع العشاق ، المخضّر ، في بيتنا دكتور ، عود الكبريت ، حفل شواء ، المربعة ، الحكاية الثامنة ، لعين الحرسة ، تفتيل شوارب ، أبو عرب . "

ويستخدم قعوار الوصف في الجملة التي تسبق القول بكثرة لبيان هيئة القائل وما يتخللها من انفعالات أو تصرفات أو حركات ، ولعل هذا الوصف و إن كان بكلمات قليلة إلا أنه يعطي تصويرا ووصفاً لطبيعة الموقف والشخصية ، ومن أمثلة ذلك في مقالته " قاتل خديجة " :

رأى شرطياً ممتلئ الجسم ، منتفخ الأوداج ، يقف بالباب ويبادر فرحلن قائلاً :

1– طمليه ،محمد ، يحدث لي دون سائر الناس ، ص 58 .

2– غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، برج التيس ، ص 147 .

– حضرتك فرحان فرح سعيد ؟

– قال فرحان وهو ذاهل : نعم .

– وبلع ريقه ثم سأل : خيراً إن شاء الله .

إن لدقة الوصف دوراً مهماً من خلال إشراك القارئ في النص وجعله متخيلاً للموقف أو الفكرة المطروحة .

الثنائيات الضدية (المقابلة) :

انتشرت هذه التقنية في المقالة الساخرة الأردنية بشكل ملحوظ ، وتكاد تكثر عند كتاب المقالة الساخرة جميعهم ؛ لما له من اثر واضح في إيصال المعنى من خلال التقابل والتضاد ؛ وذلك أن أي فكرة أو موقف يريد الكاتب الساخر التعبير عنه مرهون بالتوضيح والابتعاد عن الغموض ، وفي المقابلة بين موقف وآخر يحقق للكاتب هدفه ويتمكن المتلقي من فهم النص وتقبله التام ، دون اللجوء إلى تأويلات تعينه على ذلك .

ومن خلال تتبعنا للمقابلة بين المواقف والأحداث ؛ رأينا أن مع الموقف الأول تبدأ شرارة الموضوع والفكرة المستهدفة ، ويكون هذا الموقف في الغالب متعلق بسيرة الكاتب الذاتية أو تفاصيل عاشها أو أحداث سمعها أو قرأها ، ويتبع هذا الموقف موقفه الآخر الذي ما أن ينتهي منه حتى تبدو المقابلة واضحة ، فتؤتي المقالة ثمارها من خلال ثنائية المقابلة بين حدث وآخر .

وقد تبنى المقالة على موقف ما ، ويأتي الموقف الآخر بحدود سطرين كما فعل غيشان في مقالته جدّي أرخميدس ، وتعبر المقالة عن بعض العادات الطبية القديمة التي كانت تمارسها عائلة غيشان ، وهي عادات خطرة وعواقبها وخيمة ونتائج سلبية لا تم ت للطب بشيء ، ومن هذه التصرفات أن عمه قدم حياة جده فداء على مذبح البشرية ، إذ كان يعاني من مغص شديد في

المعدة وعالجه العم بطريقة غريبة حيث ملأ الحقنة ملحاً وماءً مغلياً فكانت النتيجة موت جده ، ويسخر الكاتب من الموقف بنعته : إنه إسهام للبشرية :

" جدي قدَّم إسهاماً عظيماً للبشرية دون تبجح واكتشف قانون : (الماء الساخن يتلف المصارين) " (1)

ويسرد الكاتب بقية العادات ليصل إلى المغزى منها من خلال اكتمال المقابلة الثنائية معتمداً على المفارقة في الموقف ، فيقول :

" أعتقد أن عائلتي تستحق أن تحصل على وسام من منظمة أطباء بلا حدود ، بالمشاركة مع الحكومات الأردنية التي تحل الأزمات بذات طريقة عائلتي الموقرة " (2)

وفي مقالته أسفاط يعقد غيشان مقابلة بين أسفاط الشوكولاتة وأسفاط الحكومات فمثلما ينتقل سفط الشوكولاته من بيت لآخر من خلال تقديم الهدايا ، حتى يعثر عليه أحد الأولاد فيفتحه ؛ وفي الجهة الأخرى يبقى سفط الحكومات متنقلاً _أي الوزراء _ ، من وزارة فلان إلى وزارة فلان ؛ منهياً المقالة بالسؤال :

" أما من ولد صغير يفتح " سفط " الحكومات " ؟ (3) .

إشارة منه إلى إنهاء وجود وزراء مكررين في كل حكومة .

وفي مقالة للزعبي بعنوان " الكنّة الجديدة " ، تبدو المقابلة واضحة بين الكنّة الجديدة والحكومة الجديدة ، من حيث النشاط وإتمام الواجبات البينية على أكمل وجه بهدف كسب رضا

1- غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، مؤخرة ابن خلدون ، ص12 .
2- المرجع السابق ، ص 13 .
3- غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، برج التيس ، ص152 .

وحب وإقناع " العم والعمة " لكن هذا الاهتمام المبالغ من هذه الكتّة الجديدة لا يلفت انتباه أحد في البيت ؛ ويعزو ذلك لتجريبهم نفس الأسلوب لأكثر من كتّة ، وبعد مدة قصيرة تفتر همتها فلا تكاد تنجز نصف واجباتها البيتية ، وكذلك الحكومة الجديدة ، وإذا أوّلنا حديثه عن الكنّة الجديدة ، فإن الحكومة الجديدة تكون نشيطة في البداية ولكن هذا النشاط لا يلفت انتباه الشعب لأنه قد جرب حكومات عدة تفتر همتها ولا تقوم بواجباتها الكاملة كما كانت في أوج حيويتها ونشاطها .

وفي نهاية المقالة يتمنى الكاتب من الحكومة أن تبقى نشيطة مستعيناً بتمازج مهمة الكنّة الجديدة ومهمة الحكومة الجديدة ؛ بطريقة منسّقة تعمق ثنائية المقابلة ، وتوضح القدرة الإبداعية عند أحمد الزعبي في تطويع اللغة وإبداعه لمعاني جديدة غير متداولة لبعض الألفاظ :

" ما نتمناه من حكومتنا الجديدة ، أن تبقي على الشال معقوداً فوق رأسها ، (تكنس) الديون، و(ترش) زيادات على الرواتب ، وأن (تطوي) صفحة التسممات ، وأن (تليّف) نوافذ التصدير، وأن (تعزّل) العمالة الزائدة،وأن تجوّر على (النفط) ، و(تنكش) على الصخر الزيتي، وأن تفتح مزاريب السياحة ، وأن(تجلي) الفقر والبطالة ، وأن(تطبخ) مشاريع استثمارية جديدة وأن تغلي لنا آخر النهار إبريقاً من الأمان الاجتماعي المطروم طرم " (1)

وفي مقالة طقوس العالم في عيده ينبه الكاتب إلى الفرق من خلال المقابلة بين العيد العمالي في العالم " المسعد " على حد تعبيره وبين عيد العامل في العالم الثالث ، ففي العالم المسعد تحتفي الشركات بعمالها ؛ فتقيم لهم احتفالاً كبيراً ، توزع فيه الهدايا ويتساوى فيها العامل مع المسؤول أو المدير، أما في العالم الثالث فان العامل يقوم بواجباته العملية ، فيذهب في الصباح

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 54 .

إلى عمله مع نسيانه سبب عطلته ، وعند عودته للبيت تطلب منه زوجته أن يقوم بعمل صيانة منزلية ، بحجة أنه لا يعمل " وقاعد قاعد " ويبقى التفكير في العمل حاضراً حتى عند تناول طعام الغداء ، ويعرض الزعبي ما يدور من حوار بين أفراد العائلة بأسلوب ساخر مضحك؛ من خلال استخدامهم لبعض الألفاظ والمصطلحات الخاصة بالعمل :

" في أثناء الغداء ينتبه الرجل لأحد أبنائه لعدم مباشرته في المنسف بعد ، قائلاً : عبودة ما عندكش كريك يابا _ يقصد ملعقة _ وبعد أن ينتهي من الغداء يمتدح زوجته : يسلموا ايديكي على هالجبلة يا سقّالة الدار " _ يقصد على هالطبخة يا نوّارة الدار ، فترد أم العيال اجبل يا زلمة ... هاظ مش جبلك . " [1]

والعامل في العالم العربي يبقى يتحدث بألفاظ العمل حتى في عيده ، أي يبقى منشغلاً بالعمل في كل بعكس العامل في العالم المسعد " على حد تعبيره " ، الذي يرتاح ويكرّم وتقام له الاحتفالات .

وفي مقالته الموسومة بـ " حفتلة " يعمد الزعبي إلى المفردة الشعبية الاجتماعية وهي كلمة " حفتلة " وتعني كما عرفها الزعبي : " العرض الصامت للخدمات..والإغراء البريء على اتخاذ القرار..والتذكير بالنفس من باب الحركة والإيماء دون التصريح..وتندرج جميع هذه الأفعال تحت الشعار الاجتماعي المعروف : "تيجي منه ولا تيجي منّي". [2]

وتبدأ المقارنة من خلال عرضه لموقف اجتماعي تتمخض فيه مصطلح الحفتلة ويضرب هذا المثال : " عندما يوصلك باص " الكريريس " من المطار إلى مجمّع الشمال وتنزل حقائبك هناك، وتلتفت ذات اليمين وذات الشمال، فإنك ستشاهد بعض سائقي السرفيس يدورون حولك

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 116 .

2- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ص 141 .

دون أن يعرض أحدهم خدمة توصيلك صراحةً..هذا الدوران يدعى "حفتله" " [3]

ومن ثم تبدأ أساسيات المقابلة عندما يوضح أن مفهوم الحفتلة موجود في السياسة أيضاً ، فمثلما يوجد حفتلة من نوع اجتماعي ، يوحد حفتلة سياسية أيضاً في الوقت نفسه ، وخاصة عند تشكيل الحكومات ، ويضرب مثالا لذلك ؛ حتى تكتمل عملية المقابلة :

" منذ أيام وبعد تطاير أنباء وإشاعات، تقوم شخصيات سياسية كبيرة، بعمليات حفتلة سياسية فتعقد الندوات ، وتلتقي الفعاليات ، وتجري مقابلات صحفية موسّعة وكل ذلك من باب العرض الصامت للخدمات، والإغراء البريء لاتخاذ القرار لصالحهم..والتذكير بالنفس..فنجدهم في ندوة "يجرّون الكرسي" إلى الزاوية المقابلة للقرار السياسي ، ومرّة " يلقّون مشدّ التبريرات حول مرحلتهم السياسية الماضية ، "ومرّة " يطعجون بعضهم بعضا " في سبيل قيادة الدّبكة الوزارية من جديد. " [2]

وتظهر المقابلة عند الزعبي في مقالات عديدة ، نذكر منها :

" جمل علي ، زيرو وموحّد ، بلا زغرة ، أولاد حارتنا ، شراك الذاكرة ، احفظ هاللطش ، زمن العجايز ، رزقة حلال ، ركلة جزاء ، أولاد المسعدين ، مكاتيب ، مستر عشت ، أسامينا ، نشرة نص كم ، مقتنياتي ، الفاتحة . "

وفي مقالة لكامل النصيرات بعنوان " مقلب طقع " يقابل موقف عفوي حصل مع صديقه من فتاة كانت تجلس بجانبه في مقعد الباص ، حيث اعتقد أنها تتحدث معه ولكنها في الحقيقة تتحدث مع غيره عن طريق الهاتف النقّال ويربط موقف صديقه بموقف الحكومات منّا بقوله :

1- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 141 .

2- المرجع السابق ، ص 142 .

" قصة صديقي عفوية و، والفتاة عفوية أيضاً ؛ غير أن الحكومات لم تكن أبداً تتصرف بعفوية ، بل كانت دائماً تقصد المقلب الذي تشرّبنا إيّاه ، عسى أن تكون حكومتنا تتكلم في التلفون مع غيرنا ، ونحن نعتقد أنها تتكلم معنا " [1]

وعند غيشان نجدها في المقالات الآتية :

" أرق صور الشفافية ، البالون رقم عشرة ، السجادة ، السكن في الأدوار السفلى ، الميخائيليون العرب ، الحلاق ، الصامولة ، الحمار، خصخصات جحوية ، بقرة الحكومة ، فرق أسعار ، هكذا يريدون إسكاتنا "

إن استخدام هذه الثنائية الضدية من خلال المقابلة تضع أمام المتلقي انساقاً متعددة لفهم النص ؛ حيث إن وجود مثل هذه المقابلات النصية تتيح للقارئ استيعاب بعض تصورات النص في قراءته له ، وهذا مما يعينه على تقبل النص وتفهمه .

١ –النصيرات ، كامل ، نكشة رأس ع الأصلي ، ص 77 .

السيرة الذاتية :

عمد كتاب المقالة الساخرة في الأردن إلى تصوير الواقع ، وخاصة ما يجري معهم من أحداث ووقائع ، وهي وقائع قد تحدث مع أي إنسان ، فكانوا يسردون في مقالاتهم بعض موروثاتهم الشعبية التي عايشوها في الماضي أو الحاضر ، مما قد نصفها بالسيرة الذاتية أو التجارب الذاتية ، لكن هؤلاء الكتاب الساخرين لم يقصدوا السيرة الذاتية الفنية المعروفة ، وإنما قصدوا إلى ذكر بعض تجاربهم في الحياة ؛ حتّى يبصّروا الناس وينبهوهم على بعض العادات والتصرفات الخاطئة التي يمرون بها في معيشتهم ، ومحاولة تصويبها والحد أو الابتعاد عنها قدر الإمكان ، وبذلك يصبح توظيف السيرة الذاتية ذا هدف تعليمي وتوجيهي لبعض أمور الواقع .

وقد يقصد الكتاب الساخرون من ذكر بعض ملامح سيرهم الذاتية ربطها بالواقع الاقتصادي أو السياسي من خلال مقابلتها بها ؛ ليتعرى ويتكشف مغزى المقالة ، وهذا من الأهداف التي يقصد إليها الكتاب في نقل تجاربهم الذاتية ، وهذه الملامح يكون لها أهميتها بالنسبة للكاتب الساخر من خلال ذكرها والتعريض بمواقف أخرى قد تشبه سيرته ، فذكر السيرة الذاتية غالباً ما يفتح آفاقاً أمام القارئ ليرى موقفاً مقابلاً لها .

ولا بد من الإشارة إلى أن ورود السيرة الذاتية في مقالة ما ، تغني النص الساخر ، وتساعد على إيصال المعنى وتوضيحه .

وقد حضرت السيرة الذاتية في المقالة الساخرة عند جميع كتابها ، وهذا مما يدل على حضورها القوي في الكتابة الساخرة في الأردن ، وقد وظفت السيرة الذاتية بهدف النقد أو التلميح لأمور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وقد وظف أحمد حسن الزعبي ويوسف غيشان السيرة الذاتية أحسن توظيف من حيث الاستفادة منها لأهداف السخرية المعنية بالنقد الهادف للأوضاع السائدة في المجتمع ، مما يدل على القدرة الإبداعية التي يمتازان بها عن نظائرهم من الكتاب الساخرين في الأردن .

ومن المقالات التي وظف فيها الزعبي السيرة الذاتية مقالته " كوليسترول " حيث يعرض الزعبي فيها نقداً لبعض تصرفات المجتمع من خلال موقف حدث معه ، ويتمخض هذا التصرف في فضول الناس لمعرفة بعض الأشياء التي لا تخصهم ، وأن هذا التصرف يكون في تضخيم الناس لبعض الأمور ، وتتحدث المقالة عن نيته في المشي والركض للتخلص من الكوليسترول ، لكن فضول الناس في السؤال عن سبب مشيه وركضه جعله يفشل في ممارسة الرياضة ، ومن ثم عاد إلى بيته ، وينهي الزعبي مقالته بنقد صريح وساخر :

" دخلت البيت ، فوجدت جاراً لا يربطني به أي خيط تواصل ، وقريباً لا يحبني ولا أحبه على الإطلاق وحجّة من معارف أمي البعيدات ، سلّمت عليهم ، واكتشفت أن الجميع حضروا في وقت واحد ليعرفوا : وين مشرق ؟ ..

أنا أمام خيارين : إما أن أترك المشي ، و " انجلط " بسبب الكوليسترول العالي ، أو أن أمشي و " انجلط " بسبب فضول الناس . " [1] .

وفي مقالة الزعبي " اسمها رحلة " يسرد فيها _ من خلال سيرته الذاتية _ الأجواء العامة لرحلة مدرسية ، ويصفها برحلة العذاب من بداية جمع الرسوم إلى أن تنتهي الرحلة ، حيث لا

---

1 – الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 26 ، 27 .

يأخذ الطالب حريته في انتقاء الأماكن ، وتنتهي الرحلة قبيل المغرب وعندما نُسأل من أهالينا عن الرحلة نرد : كيفيّة [1] .

فالكاتب هنا يسخر من طبيعة الرحلات المدرسية وواقعها في فترة زمنية ما ، حيث يصف الرحلة برحلة العذاب ، وتبرز المفارقة عندما يسألون من أهاليهم عن كيفية الرحلة ، فيردوا بأنها جميلة ورائعة .

ومن المقالات التي زخرت بالسيرة الذاتية عند الزعبي :

" المتنبي ، عيد الغريب ، مفحج على السيبة ، أجراس الطفولة ، فوبيا مزمنة ، عذراً ماليزيا ، البنّورة مطرق دفلى ، مطحنة شرايط ، المضافة ، ستلايت ، ذكريات مدرسية ، الدغري ، البوط الصيني تع بورد ، طب شعبي ،شروا من عندي ، زر الصمود ، ولا معلّم عليك ، رصيع وطني ، بلا زغرة ، شراك الذاكرة ، زمن العجايز ، شحن وتفريغ ، أمثال معاصرة ، السيناريو الكامل ، من تحت الخزان ، قو الغانمين ، وين شايفك " .

ونهج يوسف غيشان منهج توظيف السيرة الذاتية في مقالات كثيرة ، ففي مقالته الحلاق يتحدث عن دكان لأبيه وعن ماكنة الحلاقة التي كان يلجأ إليها أبوه على قاعدة قلة الشغل بتعلم التطريز ، وهذه الحادثة تفتح آفاقاً عند غيشان من خلال مقابلتها بحلاق سجن الجويدة [2] ، وفي مقالته " عبرة الرابع الابتدائي " ينهج الكاتب منهج السيرة الذاتية في ذكره حكاية لرجل بخيل منع عن جمله الأكل والشرب ؛ حتى يتعلم قلة الأكل فمات الجمل ، ويربط بين الجمل وصاحبه بالشعوب والحكومات ، أي أنه رمز بالجمل إلى الشعوب وصاحب الجمل بالحكومات [3] .

---

1 – الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص11، 12 ،13 .

2 – غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، برج التيس ، ص 147 .

3 – غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، مؤخرة ابن خلدون ، ص93 .

وقد ينحو كاتب المقالة الساخرة في استخدامه للسيرة الذاتية إلى السخرية الذاتية من بعض تصرفاته وبعض عاداته ، ومن ذلك ما فعله يوسف غيشان في مقالاته التي تحدث فيها عن أجداده وعن طفولته ومن الأمثلة على ذلك ؛ ذكره لبعض العادات التي كانت تتبع في معالجة بعض الأمراض ، ونجد ذلك في مقالته جدّي أرخميدس " ؛ التي ابتدأها بوصفه العائلة وصفاً ساخراً مفارقاً :

" أنتمي إلى عائلة ذات تاريخ عريق في المجال الطبي ، لا بل قدمت التضحيات تلو التضحيات في سبيل تقدم العلم في المجال الطبي والعلاجي ، وذلك عن طريق إجراء التجارب الخطرة على أفراد العائلة " [1] .

ومن هذه الإجراءات الخطرة استخدام الزيت المغلي في علاج التهاب الأذن ، واستخدام الماء المغلي لآلام المعدة ، وقد تكون بعض هده العادات موجودة عند كثير من الناس ، وهي هنا سخرية وتنبيه لعادات أخرى قد تتشابه مع هذه العادات السلبية الخطرة .

ونجد السيرة الذاتية واضحة عند طمليه من خلال معاناته من مرضه وبؤس الحياة في نظره ومن مقالاته التي وظفت فيها السيرة الذاتية " رجل أصلع " :

" سألني أحدهم ، لماذا ترقد في المستشفى ؟ . أجبته : شوية سرطان ، وأنا أعنيها : مجرد ورم في اللسان .... أخذت " كيماوي " وبدأ شعري يسقط ، وصار يمكنني أن أنزع خصلات من رأسي كأنما وردة ، وأنا أنزع أوراقها النضرة ورقة ورقة : تحبني ، لا تحبني / تحبني لا تحبني ، إلى أن أغدو أصلعاً بالكامل ، هل تتقبل سلمى قيافتي الجديدة ؟ " [2]

1- غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، مؤخرة ابن خلدون ، ص11 .
2 – طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ص144 .

تحمل هذه المقالة سخرية مؤلمة من خلال العبث بالكلمات ، والسخرية من السرطان اللعين ، فعند تساقط شعره لم يكن مكترثاً به ؛ بقدر اكتراثه بالعبث بكلماته : تحبني ، لا تحبني .

" قهوة مرة ، يحدث لي دون سائر الناس ، اللوحة أنا والسرطان وهواك عايشين لبعضينا ، رب ضارة نافعة ، المختبر ، رجل لا يحترم نفسه ، غرفة العمليات ، كذبة ناصعة البياض ، فقاعات الصابون "

وفي مقالته أنا والحكومة وحزامي الجديد " ، يوظف كامل النصيرات تجربته الذاتية مع حزامه الجديد الذي اشتراه ، وفي ذكره لهذه التجربة هدف يريد الوصول اليه من خلال ربط الحزام بالحكومة ، وهو ربط له مغزاه في نهاية المقالة ، فبعد أن يسرد قصة حزامه القديم غالذي يعز عليه تركه لما له كمن ذكريات جميلة ومفيدة ، ولكن الكاتب في نهاية المقالة يقترح اقتلراحاً وهو التخلي عن الحزام للحكومة بشرط :

" اقتراح .. أنا مستعد للتبرع بحزامي القديم " أبو ليرة " للحكومة ، بشرط الاستخدام ، والاستخدام هو للشد على بطنها والتقشف الحقيقي بمصروفاتها ، مش أعطيها إياه ، وتسلخ جلدنا فيه "

وعند كامل النصيرات نجد توظيف السيرة الذاتية في المقالات الآتية :

" سيجارة الصبح وشاي الحكومة ، حكايتي مع الرقم ستة الضحك بلا أسنان ، على سور

1- النصيرات ، كامل ، تنفيس ، ص 63 – 64 .

المدرسة ، حلاوة حلوة .. تخلي العجوز بلوة ، قصة الدخول للخيمة ، حدث معي في السينما ، حكاية السواق تبعي ، أنا والموز " .

إذن ، هذه بعض المقالات التي وظفت فيها التجارب الذاتية عند كتابها ، وكان هذا التوظيف في الغالب مرتكز على المقابلة بين التجربة الذاتية والموضوع التي جاءت من أجله ذكر هذه التجربة الذاتية ، مما يشير إلى أن هذا التوظيف كان هادفاً ، ويحمل دلالات واضحة لطبيعة الفكرة المعبر عنها .

التناص :

التناص مصطلح نشأ في الغرب على يد جوليا كريستيفا بعد أن طورت مفهوم الحوارية التي أتى بها ميخائيل باختين ، والتناص الأدبي هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعراً أو نثراً مع نص القصيدة الأصلي بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الشاعر [1] .

ظهر مصطلح التناص عند (جوليا كرستيفا) عام 1966م، إلا أنه يرجع إلى أستاذها الروسي (ميخائيل باختين)، وإن لم يذكر هذا المصطلح صراحة و اكتفى بـ (تعددية الأصوات)، (والحوارية)، وحلّلها في كتابه (فلسفة اللغة)، وكتاباته عن الروائي الروسي (دستوفيسكي)، وبعد أن تبعته جوليا وأجرت استعمالات إجرائية وتطبيقية للتناص في دراستها (ثورة اللغة الشعرية) [2] .

إذن للنص الأصلي علاقة ما بنصوص أخرى ، أي أن هناك تداخلاً ما بين النصوص قديمة كانت أم حديثة . وقد طرح التناص في الأدب العربي القديم بأسماء أخرى مثل السرقات والتضمين والاقتباس ، ولكن مصطلح التناص _ كسائر المصطلحات الأدبية الحديثة _ ظهر عند الغربيين مع وجود البذور العربية لهذا المصطلح .

ودُرِسَ التناص كثيراً عند الغربيين وعند العرب حتى اتسعت مفاهيمه ومصطلحاته وأصبح ظاهرة نقدية يدرسها النقاد ويعيها الأدباء والمهتمون بالأدب .

---

1 – انظر: الغذامي ، عبدالله ، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص325 .
2 – انظر: الزعبي ، أحمد ، التناص نظريا وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر، الأردن ط2 2000م، ص50 .

والتناص في المقالة الساخرة في الأردن كان حاضراً ، وظهر في مقالات عدة ، وجاءت التناصات في المقالة موزّعة إلى أقسام :

- التناص مع الآداب العربية والغربية .

** التناص مع التراث والتي اشتملت على التناص مع :

- الحكايات
- الأمثال .
- الأغاني .

التناص مع الآداب :

حضر التناص مع الآداب العربية والغربية في المقالة الساخرة في الأردن ، وقد وظف محمد طمليه في مقالات عديدة التناص من خلال ذكره لأقوال أدباء غربيين ، وهذا مما يدل على سعة ثقافته واطلاعه على الآداب الأخرى ، وتأثره بها ، وذكر ذلك في مقالته " عن العنفوان والجسارة : " لا يعيبني إذا قلت إنني متأثر بالكتّاب الروس قبل ثورة البلاشفة ، أعجبني " بوشكين " في قصة " الطلقة " ، " وليمرنتوف " في قصة " بطل من هذا الزمان " و " دستويفسكي " في معظم أعماله ، و" تشيخوف " في كل قصصه ورواياته ومسرحياته ومراسلاته مع " غوركي " . [1] ، وكانت معظم تناصاته أقوالا لكتاب غربيين ومن ذلك ذكره لمقولة " ألبير كامو " :

" إنما أكتب لإبهار شخص واحد " [2]

---

1 – طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ص 115 .

2 – المرجع السابق ، ص 74 .

وعلى هذه الشاكلة جاءت معظم تناصات طمليه معتمدا على ثقافته في الآداب العالمية وبخاصة الأوروبية ، ومن تناصاته من الأدب العربي ما ذكره في مقالته " امرأة ليبتون " ، حيث تناص مع قصيدة بدر شاكر السياب " أنشودة المطر " في قوله :

" امرأة ليبتون ومكعب ماجي لا يذوب ، وغيمة لا تمطر وأنا أصلي من أجل الاستسقاء : يا رب ، أغثني ، فيرجع النشيج كأنه النشيج " [1]

فالتناص هنا في عبارة " فيرجع الصدى كأنه النشيج " ، وتناص أيضاً مع القصيدة نفسها من خلال عنونته إحدى مقالاته بـ " أنشودة المطر [2] ، ومن الواضح أن طمليه متأثر بشعر بدر شاكر السيّاب ، ولعل تأثره نابع من تشابه المعاناة مع السياب في إصابتهما بالمرض .

ويذكر طمليه في تناصات كثيرة بعض الحوادث التي تحدث في قصص أو روايات عالمية ومن ذلك ما ذكره في مقالته الأرجوحة :

" في قصة لتشيخوف أن شاباً وصبية تأرجحا معاً ، وقال لها في غمرة النشوة : أُحبك ، ودائما تجيء حلقة أخيرة ونكون قد تابعنا غبشاً فقط " [3]

كما فعل ذلك أحمد الزعبي في مقالته " الصفعة " ، التي ذكر فيها قصة قصيرة معنونة بـ " صامتون " للأديب السوري زكريا تامر ، والقصة تدور حول رجل يدعى زهير صبري ، يصفع تكراراً ومراراً دون أن يعرف أو يرى الصافع ، ويربط الزعبي بين هذه القصة وبين حياته بشكل يرمز إلى عامة الناس ، ومن خلال المقابلة يوضح الزعبي أنه يصفع يومياً عندما يرى فلسطين ما زالت محتلة ، ويصفع ثانية عندما يرى العراق كذلك ، وغير ذلك من الصفعات

---

1 – طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ص167 .

2 – المرجع السابق ، ص56 .

3 – المرجع السابق ، ص 283 .

، إلا أن الفرق بينه وبين زهير صبري ، أنه يعرف ويرى الصافع وينتظر الفرصة حتى يقطع يده (1)

وتهدف هذه التناصات المرتكزة على المقابلة إلى تعميق المفهوم التي أتت به المقالة ، كما تعزز فكرتها وتوضحها ، مما يعين القارئ على فهم النص والإحاطة به .

ونجد التناص عند طمليه واضحا في المقالات الآتية :

" الأحمق ، شعور بالغيرة ، رجل لا يشق له غبار ، حالة ، همبرغر ومعلبات ، تفاصيل ما جرى في الزقاق ، الآخرون ، الخوف ، القمح ، عن العنفوان والجسارة ، حبيبتي اشربي حليب نيدو ، مهلاً يا جنوب ، الأرجوحة ، الملعب ، وقت الغروب ، سونيا والمجنون ، عشتار في مكة مول ، عشتار تنتظر على مفترق طرق "

وفي مقال لموسى حوامدة بعنوان " معارضة " (2) ، يوظف الكاتب بيتاً من الشعر العربي القديم ليشكل تناصاً مع الأدب العربي :

فكلٌ يدّعي وصْلاً بليلى وليلى لا تقرّ لهم بذاكا

وفي هذا التناص اختزال وتكثيف في المعنى حتى تصبح العلاقة بين معنى البيت وأفكار المقالة المطروحة واضحة ، ومعمقة لها .

وأما الكاتب يوسف غيشان ؛ فقد وظف التناص مع الأدب العربي والغربي ، ومثال تناصه مع الأدب العربي القديم مقالته " وإذا أتتك " (3) التي وظف فيها بيت المتنبي :

وإذا أتتكَ مذمَّتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بـأني كاملٌ

1– الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 59 ، 60 .

2 – حوامدة ، موسى ، خبّاص الضايع ، ص 60 .

3 – غيشان ، يوسف ، الأعمال الهاملة ، مؤخرة ابن خلدون ، ص 133 .

ويقوم غيشان بالسخرية والاستنكار من هذا البيت ، ويفتح آفاقاً لتمرير فكرته ، في كيفية الكمال إذا قام أحد بذمه ، و أما تناصاته مع الأدب الغربي فنجده في مقالته " البرغي " وذلك من خلال ذكره لقصة قصيرة للكاتب " تشيخوف " والتي تتحدث عن موظف مخلص في عمله ومتقن له ، وفيه من الأمانة الكثير ، إلا أن هذا الأمر لا يحبذه المهملون فقاموا بترميجه _ أي عزله _ .

ونجد التناص عند غيشان في أسماء الكتب من خلال قلبه للألفاظ لي أتي بمفردة ساخرة أو مضحكة ، فقد جاءت معظم عناوين كتبه تناصاً مع أسماء كتب عربية وغربية ، أما العربية فهناك تناص مع " مقدمة ابن خلدون " من خلال كتابه " مؤخرة ابن خلدون " ، وكتابه الآخر " لماذا تركت الحمار وحيداً ، تناص فيه مع ديوان محمود درويش " لماذا تركت الحصان وحيداً " وتناصه مع الكتب الغربية تمثّل في كتابه " هكذا تكلم هردبشت " متناصاً مع كتاب نيتشه " هكذا تكلم زرادشت " .

إن ما توحي به عناوين الكتب الساخرة عند غيشان ؛ هو تعزيز التناقض وإبرازه بين عصرنا وعصر هذه الكتب القديمة ، أي بين الماضي والحاضر بكل أشكاله ، فالمقدمة المليئة بالمعارف والعلوم تقابلها المؤخرة ، والحصان يقابله الحمار وشتان ما بينهما ، وزرادشت وما يقوله في كتابه من أفكار ومعارف ، يتحول إلى هردبشت ؛ الذي لا يهتم لكلامه وأقواله .

وسار أحمد أبو خليل على هذا النمط في كتابه بؤس الفسفسة " المأخوذ من كارل ماركس في كتابه " بؤس الفسفسة " ، وفي ذكر البؤس دلالة على المعاناة والضيق ،ومواجهة الواقع المرير ، أما قلبه للفلسفة _ وهو علم له قواعده وفوائده القيمة _؛ إلى كلمة الفسفسة وهي الكلام المرتكز على النميمة والغيبة والفساد ، يعطي القارئ المتمعن حساً بالمفارقة والتناقض بين ما كان وما سيكون .

وفي عناوين المقالات نجد عند غيشان تناصاً مع الأدب العربي من خلال تسمية إحدى مقالاته بـ " موسم الهجرة إلى واشنطن " ، وكذلك عند هند خليفات في مقالتها العنونة " موسم الهجرة إلى الجنون " متناصاً مع رواية الطيب صالح " موسم الهجرة إلى الشمال ، وفي مقالة أخرى يتناص مع كتاب ماركيز " الحب في زمن الكوليرا " التي أسماها " الحب في زمن الكوكاكولا " .

إن لهذه التناصات دور في إيضاح المعنى ، كما تعطي إشارات واضحة للعلاقة الوثيقة بين الحاضر والماضي لتنبثق في نفسية المتلقي إضاءات رمزية تعمق فهمه للمضامين الواردة في المقالة .

لقد استحضر الكتاب الساخرون في الأردن بعض أوجه التناصات ، ولم يكثروا منها ، وكان التناص في المقالة الساخرة تناصاً مباشراً لا غموض فيه ، وكان في الغالب كاملاً من خلال ذكر قصة أو بيت شعري ، أو في عنوان لكتاب أو مقالة مع بعض التصرف .

التناص مع التراث الشعبي :

الأصل في كلمة التراث " ورث " ، وتدل مادة "ورث" في معاجم اللغة العربية على المال الذي يورثه الأب لأبنائه [١]. واستخدم القرآن الكريم كلمة "تراث" بالمعنى نفسه الذي ورد في معاجم اللغة، أي المال: "وتأكُلونَ التراثَ أكْلاً لَمّاً " [٢].، و يتباين مفهوم التراث في الثقافة العربية المعاصرة من باحث إلى آخر، تبعاً لاختلاف الباحثين ومواقفهم . [3]

---

1 – ابن منظور، لسان العرب ، مادة ورث .

2 – سورة الفجر، الآية 19.

3 – وتار ، محمد رياض ، توظيف التراث في الرواية الغربية االمعاصرة ، 2002م ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ص 19 .

يجمع الباحثون في التراث على انه كل ما وصلنا من الماضي ، فبعضهم يرى أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد، وذلك في تعريف فهمي جدعان وهو أن التراث " كل ما ورثناه تاريخياً" [1]. وبأنه "كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة" [2]. وأما بعض الباحثين فيرى أن التراث هو ما جاءنا من الماضي البعيد والقريب أيضاً [3].

والتناص مع التراث أو الموروث الشعبي الذي ظهر في المقالة الساخرة جاء على ثلاثة أشكال :

أ – الحكايات (القصة التراثية) .

ب– الأمثال .

ج– الأغاني .

الحكايات :

كان استخدام الحكاية أو القصة التراثية في المقالة الساخرة حاضراً بقوة ، وقد زخرت المقالة الساخرة في الأردن ببعض الحكايات التي تغلفت في الغالب بسمة الرمزية ، وأبرز من وظفها ، واعتمد عليها في مقالاته الكاتب يوسف غيشان ، فقد ذهب يوسف غيشان في مقالات عديدة إلى الاستعانة بالتراث والارتكاز عليه من خلال ذكره للحكايات القديمة ، ومن الأسباب الداعية إلى هذا النمط ؛ محبة الناس لهذه الحكايات التي قد تسرد في حياتهم على سبيل السخرية أو التفكه .

---

1 – جدعان ، فهمي ، نظرية التراث ، ط1، 1985 م ، دار الشروق ، عمان ، ص16 .

2– حنفي ، حسن ، التراث والتجديد ، ط1 ، 1981 م ، دار التنوير ، بيروت ، ص11 .

3 – الجابري ، محمد عابد ، التراث والحداثة ، ط 1 ، 1991 م ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص 45 .

ولا بد من الإشارة إلى أن التناص في الحكاية عند غيشان كان تناصاً تاماً ، أي أنه يذكر القصة كاملة دون تصرف فيها إلا في مواضع قليلة ، كما في مقالاته : حل وربط والأرنب الذكي والأسد الأدرد ولماذا تركت الحمار وحيدا وحبر على ورق .

وقد يذكر في آخر الحكاية مقابلة ما لتتضح معالم الحكاية وسبب الإتيان بها على وجه الخصوص ، مثال ذلك مقالته خصخصات جحوية ، فقد ارتكز في تحقيق غايته من النقد والسخرية على حكاية جحا التي تقوم على بيع جحا لحماره ، وبعد أن رأى الناس يزايدون في سعر حماره ، زايد معهم واشتراه بأعلى سعر ، وينهي الكاتب مقالته بالمقابلة الآتية :

" هكذا تقريباً يتعاملون مع خصخصة الشركات الحكومية وبيع وشراء أسهمها " [1]

وكذلك في مقالته بقرة الحكومة ، من خلال ذكره لقصة بقرة جحا ، ونجد التناصات الحكائية عند غيشان في المقالات الآتية :

" شهرزاد ، هدية متأخرة ، تخيلات مشروعة ، كتبنا وما كتبنا ، يحدث الآن ، سيناريوهات الوحدة ونص "

وتأتي هذه التوظيفات في استحضار النصوص القديمة ؛ لإبراز المعنى وإجراء المقابلة بينها وبين ما يريد الكاتب إيصاله للمتلقي مستعيناً في ذلك بالمقارنة والمعارضة بين النصوص القديمة والأحداث القائمة .

أما أحمد حسن الزعبي فلم تكن له اقتباسات من الحكايات القديمة إلا قليلاً ومن ذلك مقالته " السباق" [2]

تنبع أهمية هذا التوظيف في إبراز المفردات والأحداث الشعبية القديمة ، مما يمنح المتلقي

---

1 – غيشان ، يوسف ، الأعمال الهاملة ، مؤخرة ابن خلدون ، ص99 .

2 – الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 103 .

جسراً للعبور إلى أفكار النص ، كربطه الحكاية القديمة بالواقع الحديث ، مما يعطي النص الساخر أبعاداً رمزية .

وظفت الحكاية الشعبية كثيراً عند غيشان ، ولعله الأبرز في الاستعانة بها في مقالاته من بين كتاب المقالة الساخرة في الأردن .

الأمثال :

وظف الزعبي وغيشان الأمثال في بعض المقالات ، وكان توظيفاً هادفاً قصد منه الربط بينه وبين القضية التي تناقش ، ونجد ذلك في مقالة ل يوسف غيشان بعنوان " الحلّاق " ، يذكر فيها المثل الآتي :

" قلة الشغل بتعلم التطريز " (1)

وفي مقالته على رأي المثل يذكر المثل المعاصر :

" الباب اللي بيجيك منو الريح سدّو واستريح " (2)

ولدى الزعبي نجد توظيفاً لبعض الأمثال المختزلة في ذاكرة الناس ، وهذه الأمثال أو ما جرى مجراها :

" فوق الهم زقلبّة " (3)

" أيام الزيت أصبحت أمسيت " (4)

---

1 – غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، برج التيس ، ص 147 .

2 – غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، مؤخرة ابن خلدون ، ص 97

3 – الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص 83 .

4 – الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص 43 .

" المي بالبير بدها تدبير " [1]

" الحي أبقى من الميت " [2]

" الصيت ولا الغنى " [3]

ولأحمد الزعبي مقالة عنونها بـ " أمثال معاصرة " أجرى فيها قلباً للأمثال الرائجة معللاً قلبه لها بعدم فائدتها في الوقت الحاضر، فألبسها لباساً جديداً يتناسب مع مجريات الحياة الجديدة ، فقد قلب المثل القائل " على قد حافك مد رجليك " بالمثل العصري : على قد كازاتك دفّي ايديك " ، وقلب المثل الشهير : " يا ماخذ القرد على ماله بروح المال وبظل القرد على حاله " إلى : " يا ماخذ الموزع على غازه ، بروح الغاز وبظل الموزع على حاله " ، وقلب المثل المعروف : " اقلب الجرة على ثمها بتطلع البنت لأمها " إلى مثل أجدى منه : " ابطح الجرة ع ثمها ، ببين صدقها من كذبها " .

السخرية واضحة في هذا القلب ، فالكاتب يريد أمثالاً تتسق مع ارتفاع أسعار النفط ومشتقاته في الواقع الحالي ، ونرى أن الزعبي كان موفقاً في إيصال هذه الفكرة والتعريض بها .

إن ذكر هذه الأمثال يساعد الكاتب في إيصال ما يريده الكاتب بألفاظ موجزة ، كما يساعد القارئ على الانخراط في أجواء النص الساخر .

لقد كان التناص في المقالة الساخرة في الأردن مع الأمثال قياساً بالحكايات قليلاً ، وممن ظهرت عنده الأمثال أكثر من غيرهما يوسف غيشان وأحمد حسن الزعبي .

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص81 .

2 - الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص89 .

3- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 77 .

الأغاني :

وظف كتاب السخرية وخاصة غيشان والزعبي في بعض مقالاتهما الأغنية الشعبية ، فهذا الزعبي يوظف أغنية " أسامينا " في مقالته المعنونة بـ " أسامينا " ؛ ليجري مقابلة بين علاقة الأسامي بمعيشة الفرد [1] ، فحين يتعب الأهالي على حد تعبير كلمات الأغنية في تسمية أبنائهم ، يرى الكاتب أن الأسماء في الأردن تحمل مفارقات عديدة ، ولا يحمل معنى الاسم ما في الشخص من صفات ، فقد نجد شخصاً يعمل لصاً محترفاً واسمه أمين ، وآخر اسمه مرزوق وهو عكس ذلك .

وفي مقالة أخرى يوظف أحمد الزعبي أغنية " بيع الجمل يا علي " لسميرة توفيق في مقالته " جمل علي " ؛ ليجري مقابلة بين خصخصة الحكومة لأملاك الدولة وبيع الجمل الخاص بعلي من أجل الزواج [2] ، فكما باع علي الجمل ليحفل بالزوجة ، باعت الحكومات بعض أملاك الدولة ليحفلوا بالأموال .

وعند غيشان نجد توظيفاً لأغنية " اليادادا " ، ويربطها ببعض السياسات العربية ويصفها " إنها أغنية عظيمة تعبر عن وعي سياسي مبكر لدى كاتبها ومنتجها ومغنيتها.... إنها مانفستو المجتمع العربي " [3]، ووجه الربط قائم بين الأشخاص الواقفين خلف المطربة الذين يرددون كلمة " يا دادا " ويكررونها ، وبين السياسات العربية التي تشبه الـ " يا دادا " في التكرار وعدم الإتيان بقرارات جديدة حاسمة مغيّرة لأحداث جارية .

---

1 – الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص 9 .

2 – الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص17

3 – غيشان ، يوسف ، الأعمال الساخرة ، مؤخرة ابن خلدون ، ص 68 .

ولا ننس عناوين المقالات التي اشتملت على تناص مع الأغاني ، ومن هذه المقالات عند غيشان :

" كتبنا وما كتبنا ، كان الزمان وكان "

إن للأغاني حديثها وقديمها دوراً في إغناء النص الساخر ، وتعطي الأغنية للنص الساخر إقبالاً شعبياً من خلال السخرية التي تحتويها .

إن في توظيف الأغنية الشعبية تنويعاً في الأسلوب والسرد ، كما تحمل هذه الأغاني أبعاداً رمزيّة وذلك من خلال دلالتها على ما يجول في عقل الكاتب دون المباشرة والتصريح وبعبارات موجزة .

الفصل الثالث

المقالة القصصية الساخرة وتطبيقاتها .

المقالة القصصية

إن المقالة كفن نثري لم تنفصل بحال من الأحوال عن غيرها من الفنون الأخرى ، كما يحدث في غيرها من الفنون كفن الرواية مثلاً ، فقد ظهر ما يسمى بشعرية الرواية وقصيدة النثر ، وغيرها من المصطلحات التي نتجت من تمازج فن أدبي بآخر .

وتمازج هذه الفنون ببعضها أصبح أمراً طبيعياً في ظل الأدب الحديث ، والمقالة بشكل خاص اتسمت بسمات قصصية كالوصف والحوار وظهور الشخصيات والزمان والمكان ، وهذا مما يقربها إلى القصة ؛ لكن كاتب النص قصد في نصه المقالة ، ولم يقصد القصة ، ولتجاوز هذه العقدة فقد أطلق النقاد عليها مسمى " المقالة القصصية " .

فالمقالة القصصية هي : مقالة ارتكزت على بعض العناصر القصصية أو كلها ، وهذه العناصر قد تكون شخوصاً أو زماناً أو مكاناً أو أحداثاً ، ولم تكتمل المقالة القصصية مقالياً ولا قصصياً ، وإنما حدث بينهما بعض الخلط في عناصرهما .

ويعطي ظهور هذه العناصر القصصية في المقالة نوعاً من التشويق والحيوية والنمو الدرامي داخل المقالة ،

ولعل أبرز من قامت مقالاته على عناصر قصصية هو الكاتب فخري قعوار في أعماله الكاملة الساخرة وهي :

_ يوميات فرحان فرح سعيد .

_ مراسيم جنازتي .

_ لحن الرجوع الأخير .

وفي هذه الأعمال توظيف كبير للسمات القصصية كالحوار والشخصيات ، وقد غلبت على هذه الأعمال السرد بضمير الأنا ، وذلك بسرده لمواقف متعلقة بحياته وتجاربه التي قد تحدث مع أي شخص غيره ، فهي متصلة بحياته ومجتمعه

تتجلى المقالة القصصية عند فخري قعوار في أعماله الساخرة كلها ، وإذا أخذنا مثالاً على ذلك كتابه فرحان فرح سعيد ، نجد فيه توظيف للحوار والشخصيات بشكل لافت ، والشخصية الرئيسية التي صنعها فخري قعوار هي شخصية فرحان فرح سعيد ؛ التي تجري معها بعض الأحداث والوقائع اليومية المعتمدة على التصوير والمفارقة ، وهناك شخوص أخرى اتصلت بالشخصية الرئيسية كزوجته والقاضي وطلابه والشرطي وصديقه وأم محروس ، مما يهيئ لظهور الحوار بين فرحان فرح سعيد وهذه الشخصيات ، وتكاد تبنى معظم مقالاته على هذا الحوار المرتكز على الوصف الحركي للشخصيات ، ويبرز ذكر المكان في مقالاته كثيراً ؛ حيث يسرد المقالة موضحاً المكان التي تقع فيه الأحداث وقد يكون المكان عنواناً لمقالة من مقالاته كما فعل في مقالاته : " عند مقهى السنترال " و " في قسم الطوارئ " و " زيارة الجريدة " .

ففي مقالته القصصية " حديث إذاعي " نجد معظم عناصر القص موجودة فيها : " فوجئ فرحان فرح سعيد ، أثناء عودته إلى البيت بشاب يعترض طريقه ، و يضع أمام فمه ميكروفوناً ويقول له :

– مرحبا يا أخ .

قال فرحان بذعر مكبوت :

– مرحبا . [1] .

فالمكان بالقرب من بيت فرحان والزمان أثناء عودته إلى البيت ، والشخصيتان تتحاوران ، كما نجد وصفاً لملامح فرحان فرح سعيد فهو في البداية فوجئ وبعد الترحيب رد بذعر مكبوت .

" إن في توظيف المكان والزمان في الكتابة القصصية أهمية بالغة في رسم الهيكلة العامة للقصة ، وفي إعطائها أبعاداً تتصل بالواقع القصصي الموازي للواقع الراهن " [2]

وفي كتابه " مراسيم جنازتي " يوظف قعوار شخصيات متكررة في مقالاته القصصية كشخصية معزوز وأم العبد بالإضافة إلى الشخصية الرئيسية المتمثلة بالكاتب نفسه سارد الأحداث والوقائع ، ولا يقف قعوار عند الوصف والسرد بل يشرك نفسه مع شخصيات المقالة ، ويحدث ذكر هذه الشخصيات _ وما يجري بينها من حوار وأحداث _ بعداً قصصياً واضحاً ، ويوضح قعوار نفسه سبب اختياره هذه الشخصيات " حين أختلق شخصية أم العبد _ رحمة الله عليها _ أو شخصية جاري العزيز أو شخصية معزوزأو شخصية زوجة ، فإنني أمارس دوري كمؤلف يستلهم من الواقع ويعمل خياله في بناء الشخصيات وتركيب الأحداث وتناميها " [3]

ومن الأمثلة الكثيرة على المقالة القصصية عند قعوار نذكر هذا المثال من مقالته " طحيمر

---

1 – قعوار ، فخري ، الأعمال الساخرة ، " فرحان فرح سعيد " ، ص 58 .

2– الماضي ، شكري وأبو الشعر ، هند ، فن المقالة في الأردن ، ص.185

3– قعوار ، فخري ، الأعمال الساخرة ، مراسيم جنازتي ، ص 299 .

المتوحش ليس من هذا العلم " المرتكزة على بناء الحدث والوصف وتوظيف الحوار بين شخصياتها ، ففي وصفه لطحيمر يبرز التصوير الكاريكاتوري لهذه الشخصية من خلال الحوار المدرج في المقالة مع زوجته :

" الزوجة: أنا أعتقد أنك صرت مفترساً، وإذا أمعنت في أكل الرشاوى والمشاوي والمناسف ستنبت لك مخالب مثل الدببة ، وستفوح رائحتك مثل الضباع ، وسيزداد وزنك من مائتين وعشرين كيلو غراماً إلى ثلاثمائة كيلو غرام .

ضحك طحيمر ضحكة مجلجلة فانكسر لوح زجاج من أحد النوافذ ، وقال بصوت كالخوار:

الرشاوى والمناسف توأمان! " [1]

وتكثر عند قعوار وصف الشخصية وتعابير وجهها وتصرفاتها قبل جملة القول ، ففي مقالته " حكي جرايد " يشتد عنده الوصف والحوار :

" دخل إلى المنزل مندفعاً مثل قذيفة ، وأغلق الباب وراءه بطرف رجله ، ونظر إلى زوجته المنهمكة بتقميع البامية قائلاً بحماس :

– لقد نشروه .

ولوّح بجريدة أمام وجهها وأضاف :

– نشروا مقالي .

رمقته زوجته بطرف عينها ثم واظبت على تقميع البامية ، فأضاف بفرح وحيوية :

– هل رأيت مقالي يا امرأة

1– قعوار ، فخري ، الأعمال الساخرة ، مراسيم جنازتي ، ص 248 .

فقالت بلا اكتراث :

– رأيت مقالي عرسك ! . " [1]

لقد أوضح الحوار والوصف بعض المعاني الموجودة بالمقالة من لهفة الزوج وعدم اكتراث الزوجة لما يقوله الزوج .

لقد وظف فخري قعوارالعناصر الفنية للقصة القصيرة في مقالته اليومية ، وقد عالج فيها بعض القضايا الاجتماعية المتصلة اتصالاً مباشراً بوعي الناس وثقافتهم ، فالأحداث التي حصلت مع فرحان فرح سعيد قد تحدث مع كل فرد من أفراد المجتمع .

إن توظيف عناصر القصة القصيرة في المقالة الصحفية يتمركز على ظهور الشخصيات والحوار بشكل كبير ، مع احتوائه على الوصف والسرد .

وإذا ذهبنا إلى الزعبي فهناك توظيف كامل لعناصر القصة القصيرة من خلال الوصف والعرض واستخدام الشخصيات وما يدور بينها من حوار ونقاش ، ومن ذلك ، مقالته ر أس مايل التي يجري فيها حواراً بين شخصيتين وهما : أبو يحيى ورجل آخر نعته الكاتب بـ " الحزبي " ، والمكان في أحد مجالس العزاء ، وفي الحوار توضيح كامل لأهداف المقال ، وقد عمد الزعبي إلى الحوار ؛ لأن فيه بعداً جوهرياً في فهم الفكرة المطروحة :

– " أبو يحيى : شو يعني شيوعية ؟

تفاجأ الرجل الحزبي بسؤاله بعد أن أشبعه تعليفاً وتحليلاً قبل قليل ، ثم تدارك الموقف وقال مسايراً : بدك تعريف حقيقي ولا هملالي ؟

1– قعوار ، فخري ، الأعمال الساخرة ، مراسيم جنازتي ، ص 483 .

– أبو يحيى : هملالي أوضح .

الحزبي : أن يكون لديك نعجتان ، فتأخذ الحكومة الاثنتين وتعطيك بعض اللبن .

أبو يحيى : حلو والاشتراكية ؟

أن يكون لديك نعجتان ، وتعطي واحدة لجارك .

أبو يحيى : طيب والنازية ؟

الحزبي : أن يكون لديك نعجتان ، فتأخذ الحكومة الاثنتين ، وتعدمك " [1] .

لقد أسهم الحوار والوصف القريب إلى أذهان الناس في معرفة المغزى ووعيه ، والفكرة المطروحة توضحت من خلال إدراج هذه الشخصيات وما دار بينها من حوار ووصف في المقالة .

ويبقى الحوار بين الحزبي وأبو يحيى موصولاً ، يتخلله الجواب المعتمد على الوصف وتقريب الصورة لبعض مفاهيم الأنظمة العالمية المطروحة ، وبعد ذلك يسأل عن الفاشية والبيروقراطية والرأسمالية ، وفي هذا الوصف تعبير ساخر مضحك لطبيعة هذه الأنظمة ، ويصل الكاتب في آخر المقالة إلى تضييق مجال الأسئلة ليسأل عن الرأسمالية العربية ، ويأتي التوضيح العميق من الحزبي باستخدام المثال نفسه:

" أبو يحيى : طيب شو الرأسمالية العربية ؟

الحزبي : أن تأخذ الحكومة منك النعجتين من باب (العشم) ، وتذبحهما من باب الاستثمار ، وتعمل اللحم (قدرة) للضيوفف ، والرأس شوربة للأشقاء ، والأرجل كوارع للزوار ، والجلد

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 55 ، 56 .

جاعد للمستثمرين ، ومخلفات المعدة سماد للشجر ، والعظام علف للدواجن ، وتسجل صوت النعجتين نغمة للموبايلات ، ثم تحملك فشل المشاريع ، وتطالبك بسد الديون .

أبو يحيى : اخلع اخلع ، لعاد شو الديمقراطية العربية ؟ " [(2)]

إن الحوار المتمثل في هذه المقالة وما يتخلله من وصف لطبيعة الأنظمة بصورة ساخرة يجعل من هذه المقالة قصة ساخرة بما فيها من عناصر قصصية ، وترمز هذه الأوصاف إلى فشل الرأسمالية العربية وعدم فعاليتها ، ويسخر الكاتب منها ، ومن مبادئها القائمة على جني الضرائب والاستغلال ، وفي نهاية المقالة يبقي الكاتب للقارئ الإجابة عن مضمون الديمقراطية العربية .

وفي مقالة أخرى معنونة بـ " الوسيلة " ، يوظف الزعبي العناصر القصصية من خلال حوار بين أبو يحيى وابنه " شلاش " والكاتب نفسه كان حاضراً في الحوار من خلال سرده بضمير الأنا ، والقصة مبنية على السرد الذي يتخلله بعض الحوارات بين شخصيات المقالة القصصية :

لم يكتف شلاش بضرب جرس الباب عشر مرات متتاليات ، بل بدأ بركل البوابة الخارجية برجله والطرق بكلتي يديه .. على الفور قمت بتخزين ترويسة المقال المعتادة : التاريخ والزاوية والسطر الأول ، وهرولت لأرى من في الباب ..

شلاش : أبوي بقلك جيب " طشت " وتعال .

أنا : خير .. ليش بده الطشت .

شلاش : بده يحط الكرشة .

1- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 56 ، 57 .

أنا : فال الله ولا فالك ، كرشة مين على الصبح ؟

شلاش أبوي ذبح " عِقّة " لشايش وبده إياك تيجي .

أنا : بس أنا قاعد بكتب .

شلاش : بقولك في إشي بتستفيد منه بالكتابة [1] .

ويبقى خيط السرد متواصلاً دون انقطاع حتى يأتي المغزى من وجود الشخصيات _ وخاصة أبو يحيى _ والحدث الذي يتمخض في سلخ الشاة :

أبو يحيى : شفت ؟

أنا : مش فاهم .

أبو يحيى لاهثاً : إذا بدك " تسلخ " واحد " انفخه " بالأول ... بس انت عمرك ما " بتتنجّر " [2].

لقد أعطت بعض العناصر القصصية _ كالشخصيات والحوار والوصف _ المقالة الساخرة تشويقاً وحيوية ، حتى يصل بالقارئ إلى نهاية المقالة والمتمثلة بحكمة ورمز في الوقت نفسه إلى أهمية مدح بعض الناس حتى تأخذ ما تريده منه ، وهو أسلوب شاع بين الناس وفي المجالات كافة .

وللزعبي مقالات قصصية كثيرة ، نذكر منها من كتبه الساخرة :

" الكرسي ، مفحّج على السيبة ، انتصارات شخصية ، المتنبي ، كتاكيت ، موسرجي المستقبل ، نيّاله ، النفس الوحّامة ، مكالمة دولية مع ميت "

---

1 – الزعبي ،أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ص 69 .

2 – المرجع السابق ، ص 70 .

وعند موسى حوامدة في كتابه " خبّاص الضايع " ، نجد مقالات كثيرة توسم بالقصصية ، فقد وجدنا في مقالاته وصفاً للشخصيات وظهوراً كثيفاً للحوار ، بين خباص وزوجته أم ضايع ، وغيره من الشخصيات التي تجسد حدثاً وموقفًا ما في متن المقالة ، ومن هذه المقالات القصصية " المكاتب والمطابخ " ، التي حملت بين طياتها الحوار والوصف والمكان ، وهو بيت خبّاص :

" قفزت أم ضايع في الهواء ، ثم جلست أمامه القرفصاء وصرخت :

أنت مجنون ، بكفي تخبيص ، كتب .. كتب كتب .. لا يا حبيبي الأكل والأثاث أهم من الكتب .. ومستحيل .. أنت مجنون تبيع الفيديو .. عشان تشتري من (المعرض) .. بلا معرض بلا هم ، دق يديه على صدره وقال : أخ .. صحيح أن العقل زينة " [1]

وفي مقالة أخرى لحوامدة بعنوان " طاب كراع " ، يجري الحوار الآتي بين خبّاص وسائق شاحنة :

" صعد خباص إلى كابينة القلاب (واتقند) بجانب السايق وتنهد قليلاً قائلاً : إلى أين تذهب ؟

قال الشوفير : إلى طاب كراع .

قال خباص : طاب ؟ وهوكراع باقي مريض ؟

قال السائق : هذا اسم قرية .

قال خباص : وهل هي قريبة من عمان ؟

قال السائق آه ... قريبة ..

هز خباص رأسه وسأل : وماذا تحمل ؟

ضحك السائق وقال : بلاوي .. " [1]

---

1 – حوامدة ، موسى ، خباص الضايع ، 1995 م، ط 1 ، دار أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان ، ص56 .

لقد أضفى الحوار على فكرة المقالة سهولة ويسر في تناول معناها ، ولو كان هذا النص سردياً بغير الحوار لاحتاج الكاتب لألفاظ كثيرة تؤدي للتوصل إلى المغزى ، والحوار وما فيه من ألفاظ ودلالات فكاهية يعطي للنص الساخر الحيوية والتشويق وهي من أبرز اهتمامات الكاتب ، فحين يبث في مقالته عناصر التشويق والحيوية والفكاهة ، يطمح في ذلك تواصل القارئ مع النص مع سرعة الاستجابة مضمون النص وألفاظه .

ونجد المقالة القصصية عند موسى حوامدة في المقالات الآتية :

" يطبّش المرآة ، أنا سمكة سردين وأنت خباص ، في المسرح ، لم ير رأس السنة ، خبّاص في ورطة ، أنا عيّان ، في الفحيص ، أم ضايع اتهمتني بالجنون ، .... "

ولا ننس غيشان في حكاياته المأخوذة من ذاكرته التراثية ؛ التي قد يتصرف في بعضها منقصاً منها أو مزيداً أو معدلاً عليها ؛ لتتواءم مع غرض المقالة وفكرتها وس أذكر مقالة له بعنوان " يحدث الآن " ، وهي مأخوذة من التراث العربي القديم ، وفي ذكرها هدف يذكره في نهاية المقالة القصصية ، وتدور أحداثها حول نحوي يريد شراء بعض الدبس فملأ المغرفة وتناول ما فيها من دبس ، ثم سأل البائع : دبسك هذا عنبي أم زبيبي ؟

فقال البائع : هو عنبي يا سيدي ، من الدالية للمعصرة .

ثم ملأ النحوي المغرفة ثانية ، وابتلعها على الفور ، ثم تجشأ وتدشأ ، وسأل البائع :

– أهو جبلي أم غوري

فقال البائع : هو جبلي .

ثم ملأ النحوي المغرفة للمرة الثالثة وازدردها ، ثم تجشأ وتدشأ ، وسأل البائع :

– وكم يبلغ سعر الكيلو من هذا الدبس ؟

فقال البائع بكل قهر : متى أبقيت شيئا من الدبس في التنكة ، فلن نختلف على السعر.

ترى هل أبقوا شيئاً من الدبس في تنكة الوطن ......؟ ؟ [1]

إنّ عناصر القصة _ من أمكنة وأزمنة وشخوص وأحداث _ واضحة مع أنها مقالة ، وفي النهاية يورد الكاتب سؤالاً يحمل رمزية للذين يسرقون أوطانهم دون الاهتمام أو الاكتراث لهذه التجاوزات ، كما يرمز إلى الذين لا يفكرون بأتعاب غيرهم من البشر ويهضمون حقوقهم على مرأى من أعينهم .

ونجد السمات القصصية في مقالاته :

" شيء اسمه الوطن ، يحكى أنّ ، موت تيس ، من أجل لا شيء ،هكذا يريدون إسكاتنا، كتبنا وما كتبنا "

وقد سارت المقالة الساخرة بشكل ما إلى استخدام عناصر القصة القصيرة ، وقد سار معظم كتابها في الأردن ، فهذا كامل النصيرات في كتابه " تنفيس " ؛ يوظف عناصر القصة في مقالاته ومنها مقالته " هذا ما تمناه الطفل شادي " وتتمخض هذه المقالة في أمنية للطفل شادي بأن يرى وزيراً رؤية حقيقية ، وبعد محاولة أبيه لأربعة أيام في رؤية وزير ما ، عند وزارته ، فشل في تحقيق أمنية ابنه في رؤية وزير ، لتأتي المفارقة من الابن عندما طلب منه أبيه أن يطلب ويتمنى شيئاً آخر غير رؤية الوزير من خلال الحوار التالي :

1 – غيشان ، يوسف ، لماذا تركت الحمار وحيداً ، ص 167 .

بأول مناسبة لأشوفك وزيرين مع بعض ، شو رأيك يا ولدي ؟ وحضن ابنه ثانية وقبّله ومسح على رأسه ، فقال شادي : ماشي يا بابا .. بدي أشوف نائب ، وهنا انفتحت جاعورة الأب : بدك

قال الأب : شو رأيك تطلب مني طلب ثاني .. وشوفة الوزير تأجلها لبعدين ، وأنا بوعدك تشوف ايش ؟ نائب ..! نائب يا حبيب أمك ! هو إنت مفطوم على نواب ! ونزل كفوف وشلاليط في شادي ، وأكمل صراخه : وزير وتحملتك .. قلت ممكن نلمحو من بعيد ، وبطح ابنه ودعس عليه برجليه " [1]

إن مغزى المقالة ما كان ليتضح بهذا الوضوح لولا استثمار الحوار بين الأب وابنه ووصف الأب وابنه ، وللهجة العامية هنا دور واضح في إبراز فكرة المقالة وهدفها .

ومن المقالات التي اتصفت في القصصية عند كامل النصيرات ، نذكر :

"يرحم أيام الفكة ، توتو والماما ، كيس تلج ، من سرق الرئيس "

لقد صنع معظم الكتاب الساخرين شخصيات شعبية في كتاباتهم ، فنجد عند فخري قعوار شخصية " فرحان فرح سعيد ، وعند موسى حوامدة نجد شخصيتين رئيستين وهما : " خباص الضايع وأم ضايع " ، وعند أحمد الزعبي نجد الشخصيات : " كرمة العلي ، وأبو يحيى وعائلته : أم يحيى ، يحيى ، شلاش ، عيشة .... " . ، وعند كامل النصيرات شخصية " ناقص هزيمات " .

1- النصيرات ، كامل ، تنفيس ، ص 16 ، 17 .

وتقوم هذه الشخصيات بدور التمازج مع عناصر القصة الأخرى وكيفية الاستجابة مع ها ؛ حتى تظهر المقالة القصصية واضحة جلية ، وتحقق أهدافها الواقعية التي طرحت من أجلها .

ويلعب الحوار دوراً بارزاً وفعالاً من حيث بعث الحركة والحياة في الحدث الذي تتناولة المقالة ، كما يكشف عن طبيعة الفكرة ومضمونها ، ويوضح الصراع في مواقف المقالة المسرودة .

ولعل في هذا المزج مع عناصر القصة القصيرة ؛ ما يدفع العملية الإبداعية على خلق قيم فاعلة في نفس المتلقي من خلال وصف الشخصيات وتجسيم الحدث وتحريكه بألوان حية من الواقع ، ونجد في توظيف عناصر القصة والابتعاد عن السرد التقليدي فائدة هامة ألا وهي تواصل القارئ وفهمه للمضمون العام للمقالة .

مضامين المقالة الصحفية الساخرة في الأردن :

تنوعت المضامين التي ناقشها كتاب المقال الصحفية الساخرة في الأردن ، وهي مضامين تتصل بحياة الناس في المقام الأول ، وتعبر عن آمالهم وطموحاتهم ، وتخفف من آلامهم وأوجاعهم بعض الشيء ؛ ولو لفترة وجيزة .

وفي هذه المضامين سلاح للشعب في مواجهة كل ما هو مغرض عبثي أو متسلط ؛ عن طريق بثّ الوعي والفكر في نفوس الناس ، ويتأتى هذا الوعي من خلال قراءة تأملية للحدث بقالب واضح ومباشر من قبل الكاتب الساخر .

وقد عالج كتاب المقالة الساخرة شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقاموا بنقدها وكشفها ، مما يعني أنهم جعلوها في خدمة المجتمع وما يتعلق بواقعه ومستقبله ، وكانوا في ذلك كله يلتزمون الأصالة والمعاصرة والانفتاح على الثقافات الأخرى .

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه المضامين قد تختلط مع بعضها البعض في المادة التي تناقشها المقالة ؛ و لا نستطيع بحال من الأحوال أن نفصل المضامين عن بعضها فالمقالة الساخرة في الأردن احتوت على مضامين متعددة فعند الحديث عن الفقر لا بد من احتوائها على المضمون الاقتصادي من حيث الوضع المادي والمضمون الاجتماعي من حيث معاناة المجتمع ، والسياسي من حيث السياسات والاستراتيجيات المتّبعة للحد من ظاهرة الفقر .

وقد ألقى كتاب السخرية في الأردن الضوء على هذه المضامين التي اتصلت بحياة الفرد والمجتمع الأردني بشكل خاص ، والعربي بشكل عام .

تنطلق السخرية للتعبير عن فلسفة اجتماعية ، تتفق وعملية الإصلاح التي تهدف إليها ، كما تتصل وظائف السخرية مع نقد الأوضاع وإعادة النظر فيها ؛ مشكّلةً نموذجاً إنسانياً قيّماً في مواجهة ما يحدث في حياة الناس من عادات ومستجدات تبرز من وقت لآخر .

ومن شأن السخرية المحافظة على كيان المجتمع ، أن تحرسه من مظاهر التشويه والنقص قدر الإمكان ، ويشكل الأسلوب الساخر دوراً بارزاً في التغيير من خلال رسمه لأحوال المجتمع ، وذلك بعد تحديد طبيعة الموقف المناقش ومحاولة تعريته من الواقع ؛ ليتكشّف حينئذ على حقيقته ، ذلك أن هذه المواقف قد لا تكون مهيأة عند كل فرد ، وإنما يكفي وجودها في مقالة كاتب ما ؛ حتى تصل إلى عامة الناس .

وطرحت المقالة الساخرة في الأردن أشكالاً عدة تتعلق بالمجتمع وبعض عاداته وتقاليده ، والسخرية تنبع في الأساس من المجتمع و إليه ، بحيث تقوم على إصلاحه قدر الإمكان من خلال طرحها لقضايا تمس المجتمع ، مما يؤدي في النهاية إلى الفائدة المرجاة ألا وهي التنبيه ومحاولة التغيير والإصلاح .

والكتاب الساخرون في الأردن تناولوا قضايا اجتماعية متنوعة ، سنقوم من خلال هذه الأمثلة إضاءة هذا الجانب الاجتماعي في المقالة الساخرة الأردنية .

نبدأ مع أحمد حسن الزعبي الذي تحدث في مقالاته عن الأوضاع الاجتماعية بشكل مميز ؛ من خلال أسلوبه الممتع والمتقن في انتقاء العبارات والألفاظ ، ونجد ذلك في مقالات عديدة ومنها مقالته الموسومة بـ الأردني في عطلته " ، يعرض الزعبي فيها من خلال شخصيته أبو يحيى

وزوجته وأولاده طقوس الأردني في العطلة الأسبوعية ، حيث يوضح فيها بعض الجمل المتكررة التي تبقى متداولة بين أفراد العائلة :

" في مساءات العطلة أكثر الجمل تكرارا عند الأردنيين هي :

" اطرمولنا ابريق شاي ، سكّر الباب وراك ، ظل بالبريق ، الواحد مش عارف يشبع نوم " [1]

وتبقى هذه الجمل تتردد من شخص لآخر ، إلى أن يأتي موعد النوم ، فيناموا وتنتهي العطلة ويبدأ صباح يوم جديد مليء بالمتاعب والأشغال ، وقد تعالج هذه المقالة بعض العادات الروتينية لدى بعض الناس ، أو أنها توضح بشكل أو بآخر هذا الروتين ، وكأن التعبير المناسب لفكرة المقالة انه لا طعم ولا فائدة لهذه العطلة .

ويسخر الكاتب في هذه المقالة من مظاهر الحياة في هذا اليوم ، والروتين الممل في هذه العطلة .

ومن المقالات التي جنحت إلى هدف اجتماعي " شحن وتفريغ " [2] ؛ التي عبر بها الزعبي عن هموم الناس ومتاعبهم ، ولعل عنوان المقالة يوحي بذلك ، والشحن يقصد به امتلاء المواطن بالمتاعب والهموم ، ولا بد من وسيلة لتفريغها ، ومن الوسائل المذكورة في المقالة _ حسب رأي الزعبي _ ، الهوشات وهي كلمة عامية تعني العراك بين الأشخاص ، ووسيلة أخرى تكون في مشاهدة المباريات ، والصراخ ؛ مع تشجيع الفريقين كلاهما ؛ حتى تكون عملية التفريغ كاملة ، وما تريده المقالة من هذه الأمثلة والوسائل إبراز الهم الاجتماعي من أمور الحياة والغلاء في الأسعار ؛ والذي من شأنه أن يجعل الصدور ضيقة ومتعبة ومجهدة في ظل ما يحاط بها من ظروف .

1 – الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص 87 .

2 – الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، ص77 .

ومن المقالات التي تناولت عادة اجتماعية سيئة ، مقالة " ثقافة العرط " حيث وضح الزعبي بطريقة ساخرة ومضحكة بعض التصرفات التي تظهر عند الناس والتي منها ظاهرة إطلاق العيارات النارية في المناسبات ، وينهي المقالة بشكل ساخر هادف ؛ منبهاً على هذه الظاهرة ، التي تفشّت في المجتمع ، والتي راح فيها أبرياء لا ذنب لهم :

" ما من شيء خرّب بيتنا غير " العرط " ، والمناسبة على التفاخر ، لذا أتمنى أن يقدم مشروع قانون " تجريم الزغاريد " بالمناسبات ، وأن يحال إلى مجلس النواب بصفة الاستعجال ، وذلك لان الزغروتة هي شرارة الحمية ، من اجلها أصيب المئات بالعيارات الطائشة ، وبسببها أُهدرت مئات الدنانير بالمناسبات الطائشة أيضاً . " [1]

ويسخر الزعبي من هذه العادة البائسة التي تهدر من أجلها الأموال والأرواح ، طامحاً في أن تتغير وتنتهي .

ونجد المضمون الاجتماعي عند الزعبي كثيراً ، ومن تلك المقالات :

" ولا معلم عليك ، يخسا الذيب ، فقر على نعنع اسمها رحلة ، أسامينا ، اكزوزت ، علبة توفي ، في هذا اليوم الاغر ، على حطة إيدك ، النفس الوحّامة ، معك خمستين ، احفظ هاللطش " .

لعل من أبرز الموضوعات المتعلقة في المجتمع ، هي :

- الأوضاع المادية الصعبة والمتخللة بغلاء الأسعار ، والفقر .
- العادات القديمة السلبية الجاهلة المؤثرة على سير التحضر والاندماج مع معطيات الحياة الجديدة .

---

1 – الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ص 80 .

- اتساع الفوارق الطبقية في المجتمع ، وسببه الرئيسي العامل الاقتصادي .
- فضول الناس ، والتدخل دون مبرر في أشياء لا تعنيهم ، مع بعض التصرفات اللاعقلانية .
- الجري وراء الحضارات والعادات الغربية السلبية اجتماعياً .

وبالإضافة ما للسخرية من وظيفة اجتماعية تطول شتى النواحي ؛ إلا أنها لم تغفل الجانبين الاقتصادي والسياسي ؛ لأ نهما جزء لا يتجزأ من حياة الفرد والمجتمع ، " وقد شكلت السخرية على مر العصور مرآة عاكسة للأوضاع السياسية ، وكانت ملاذاً يلجأ إليها الضمير الاجتماعي ، إزاء المحن السياسية والأزمات الاقتصادية . [1]

ومثال ذلك مقال لغيشان بعنوان هكذا يريدون إسكاتنا ، حيث يعرض غيشان لموقف بين أب وأبنائه ، الأب سائق أهوج وأبناؤه يقطرون دماً ، فصرخ أحد أبنائه قائلاً :

" بابا ... بابا .... انقطعت إيدي ، والدم بنزل كثير .

فصرخ به الأب الرؤوم :

اسكت يا ولد بلا غثبرة .. أخوك انقطع راسه ، وما حكى ولا كلمة . " [2]

ولعل ما ترمز إليه المقالة هو سياسة بعض الحكومات مع شعوبها ، وذلك أن المواطن المسحوق عندما يرى أناساً مسحوقين أكثر منه ، لا يتكلم ؛ لأنه أفضل من غيره وبالنتيجة فإن الاثنين لا يحق لهما التكلم فيصمتا .

---

1 – انظر : عكاري ، سوزان ، السخرية في مسرح انطوان غندور ، ص 39 .

2 – غيشان ، يوسف ، لماذا تركت الحمار وحيداً ، ص147 .

إن مما لا شك فيه ، أن المقالة الساخرة في الأردن قد ناقشت المضامين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهذه المضامين لا تنفصل بحال من الأحوال عن بعضها البعض .

الخاتمة

خلصت الدراسة في المقالة الساخرة الأردنية إلى النتائج الآتية :

1 – حاولت الدراسة من خلال التأمل وتحليل النصوص ؛ أن تتعرف على طبيعة السخرية وبواعثها وأهدافها ، وتوصلت إلى أنها سمة أسلوبية قيمة تميز بها كثير من الكتاب الساخرين ، وتنوعت أساليبهم في التعبير عنها ، فكان لكل كاتب أساليبه الخاصة التي يكاد ينفرد بها .

2 – السخرية تختلف عن الهجاء بشكل كبير ؛ في أن السخرية تخرج من نفس ناقدة مفكرة متأملة تهدف إلى الإصلاح والتقويم والتنفيس ، أما الهجاء فيخرج من نفس حاقدة هدفها التجريح والتنكيل بالخصم .

3 – الأدب الساخر موغل بجذوره في القدم ، فقد عرف الإنسان السخرية منذ أن استطاع التمييز بين الحق والباطل والخير والشر ، وظهرت مؤلفات قديمة اتسمت بالسخرية لا سيما مؤلفات أرستو فانيس الإغريقي .

4 – انتشرت السخرية في الأدب الأردني وتطورت تطوراً ملحوظاً في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين ، فظهر كتاب كثر عبروا بسخرية عن أفكارهم وتأملاتهم لعكس صورة الواقع الحقيقية دون تشويه أو نفاق .

5 – إن للمتغيرات السياسية والاقتصادية أكبر الأثر في انتشار السخرية ، فهي سلاح الضعفاء في وجه الأقوياء ، ولعل من أبرزها سياسياً ؛ احتلال فلسطين وغزو العراق وأفغانستان .

6 – احتوت المقالة الساخرة في الأردن على تقنيات وأساليب عديدة ، وكانت الألفاظ بشكل عام سهلة ومباشرة ، واحتوت مقالات كثيرة على ألفاظ عامية شدت القارئ ولفتت انتباهه ؛ مما يعينه على فهم النص الساخر .

7 – تراوحت المضامين في المقالة الساخرة الأردنية بين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وفي تناول هذه المضامين غايات كثيرة تريد المقالة الساخرة تحقيقها ؛ بهدف النقد والإصلاح والتنفيس .

8 – سخر الكتاب الساخرون في الأردن من الأوضاع المحلية ومن تعاقب الحكومات دون تغيير يذكر ، ولعل هذا مما كثر الحديث عنه في السنوات الأخيرة .

9 – لم تعط السخرية في الأردن من خلال الصحف الحرية الكاملة في النشر ، فقد كان هناك رقابة صارمة على المقالات ، وهذا من الأسباب التي قد تحد بعض الشيء من الصدق والمصداقية في تصوير الواقع ومحاولة تحسينه .

10 – كشفت الدراسة عن تفاوت الكتّاب الساخرين في الأساليب الساخرة واللغة الساخرة ، وتميز البعض بأسلوبه الممتع الحصين ، من خلال استخدام ألفاظ معبرة وجديدة معمقة بأفكار جديدة غير مكررة ، وإن كررت فإننا لا نشعر بتكرارها ، واتصف بعضهم بتكرار الفكرة دون التنويع بشكل كبير

في الألفاظ ، ولعل ذلك عائد إلى طبيعة الكتابة الصحفية التي تفرض حداً معينا من المقالات خلال شهر مثلاً .

11- برزت في المقالة الساخرة الأردنية بعض التقنيات والأساليب النقدية ، ولم يقتصر ورودها على كاتب بعينه ، بل وظفها الكتاب الساخرون معظمهم .

12 – جاءت المقالة الساخرة ممزوجة ببعض عناصر القصة القصيرة ، التي أطلق النقاد عليها مسمى : " المقالة القصصية " .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- إبراهيم ، إسماعيل ، فن المقال الصحفي ، الأسس النظرية والتطبيقات العملية ، ط 2 ، 2003 م ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، عمان .
- الأبشيهي ، شهاب الدين ، المستطرف من كل فن مستظرف ، المكتبة التجارية الكبرى ، بغداد .
- الأخطل ، ديوانه ، شرح وتعليق : مهدي محمد ، 1994م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- أبو إصبع ، صالح ، محمد عبيد الله ، ط 1 ، 2002 م فن المقالة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان .
- الأعشى ، ديوانه ، شرح مهدي ناصر الدين ، ط1 ، 1987م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- أنيس ، إبراهيم ، منتصر ، عبد الحليم ، وآخرون ، المعجم الوسيط ، 2004م ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة .
- بطيش ، سيمون ، الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود ، 1983 م ، دار مارون عبود ، بيروت .
- بهاء الدين زهير ، ديوانه ،1981 م ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت .
- الثعالبي ، أبو منصور ، الكناية والتعريض ، تحقيق عائشة حسين فريد ، 1998م ، دار قباء القاهرة .

– الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط 7 ، 1998م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

– الجاحظ ، عمرو بن بحر ، رسالة التربيع والتدوير ، تحقيق شارل بلات ، 1955م المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق .

– الجاحظ ، عمرو بن بحر ، المحاسن والأضداد ، ط 2 ، 1994 م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

– جرير ، ديوانه ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، ط 3 ، 1986م ، دار المعارف القاهرة .

– الجمحي ، ابن سلام ، طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، د. ط ، د.ت ، مطبعة السعادة ، مصر .

– بوحجام ، محمد بن قاسم ناصر ، السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925 – 1962) ، ط 1 ، 2004 ، نشر جمعية التراث ، الجزائر .

– الحديدي ، عبداللطيف ، فن المقال في ضوء النقد الأدبي ، ط 2 ، 1999 م ، الناشر: المؤلف نفسه ، الاسكندرية ،

– حسين ، عبد الحليم محمد ، السخرية في أدب الجاحظ ، ط 1 ، 1988 م ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس .

– الحطيئة ، ديوانه ،شرحه حمدو طمّاس ، ط2 ، 2005م ، دار المعرفة ، بيروت .

– حفني ، عبد الحليم ، أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، 1987م ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

- حمزة ، عبدالطيف ، المدخل في فن التحرير الصحفي ، ط 1 ، 1956 م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،.

- حوامده، موسى ، خبّاص الضايع ، ط1 ،1995 م ، دار أزمنة للنشر ، عمان .

- الحوفي ، أحمد ، الفكاهة في الأدب ، أصولها وأنواعها ، 2001م ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .

- حيدر سيد أحمد ، دراسة نقدية لفن المقالة الأدبية ، د. ط ، د . ت ، د، ن .

- خليفات ، هند ، تداعيات امرأة لا تجيد لف الدوالي ، 2009م ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان .

- أبو الرب ، مجدولين ، عنوان الملف " طمليه " مجلة أفكار ، 245 ، 53-76 ، 2009 م .

- الزعبي ، أحمد ، التناص نظريا وتطبيقياً، ط2 ، 2000م ، مؤسسة عمون للنشر، الأردن .

- الزعبي ، أحمد حسن ، أوجاع وطن ، ط 1 ، 2011 م ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان .

- الزعبي ، أحمد حسن ، سواليف ، ط2 ، 2009م ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع عمان .

- الزعبي ، أحمد حسن ، الممعوط ، 2006 م ، دار ورد ، عمان .

- زهير بن أبي سلمى ، ديوانه ،شرحه حمدو طمّاس ، ط2 ، 2005 م ، دار المعرفة ، بيروت .

- أبو زيد ، فاروق ، فن الكتابة الصحفية ، ط 4 ، 1990 م ، عالم الكتب ، القاهرة .

- السطوحي ، سها عبد الستار ، السخرية في الأدب العربي الحديث " عبد العزيز البشري نموذجاً " ، 2007 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

- شرارة ، عبداللطيف ، برناردشو : العقل الساخر ، 1956 م ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت .

- شرف ، عبد العزيز ، الأدب الفكاهي ، ط 1 ، 1992 م الشركة المصرية العالمية للنشر ، الجيزة .

- شرف ، عبد العزيز ، أدب المقالة ، 1997 م ، الشركة العالمية المصرية ، القاهرة .

- الصاوي ، محمد إسماعيل ، شرح ديوان جرير ، ط 1 ، د . ت ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .

- أبو صوفة ، محمد ، الصحافة في الأردن ، 1920- 1996 ، قراءات أولية ، ط 1 ، 1996 م ، مكتبة المحتسب ، عمان .

- ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ط 24 ، 2003م ، دار المعارف ، مصر .

- طمليه ، محمد ، إليها بطبيعة الحال ، ط 1 ، 2007 م ، البنك الأهلي الأردني .

- طمليه ، محمد ، وحجاج ، عماد ، يحدث لي دون سائر الناس ، ط 1 ، 2004 م ، مؤسسة أبو محجوب للنشر والتوزيع ، عمان .

- طه ، نعمان ، السخرية في الأدب العربي ، ط 1 ، 1987م ، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر .

- عبد الخالق ، ربيعي ، فن المقالة الذاتية ، ط 1، 1988م ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .

- عبد النور ، جبور ، المعجم الأدبي ، ط1، 1979م ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- العسكري ، أبو هلال ، الفروق اللغوية ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، 1997 م ، دار العلم والثقافة ، القاهرة .
- العقاد ، عباس محمود ، مطالعات في الكتب والحياة ، ط4 ، 1987 م ، دار المعارف ، القاهرة .
- العقاد ، عباس محمود ، يسألونك ،1946 م ، لجنة البيان العربي ، القاهرة .
- عكاري ، سوزان ، السخرية في مسرح انطوان غندور ، 1994م ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس ، لبنان .
- الغذامي ، عبدالله ، الخطيئة والتكفير، ط 4 ، 1998 م ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- غيشان ، يوسف ، أولاد جارتنا ، الأعمال الهاملة ، ط 1 ،2007 م ، دار ورد الأردنية ، عمان .
- غيشان ، يوسف ، لماذا تركت الحمار وحيداً ، ط 1 ، 2008 م ،دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان .
- غيشان ، يوسف ، هكذا تكلم هردبشت ، ، ط1 ، 2011 م ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، عمان .
- فؤاد ، نعمات أحمد ، كتبت يوماً في الأدب ، النقد ، الفكر ، الفن ، 1988 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- فرشوخ ، محمد ، أدب الفكاهة في لبنان ، ط 1 ، 1989 م ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .

– قطب ، سيد ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ط5 ، 1983 م ، دار الشروق ، بيروت.

– قعوار ، فخري ، الأعمال الساخرة ،2007 م ، أمانة عمان الكبرى ، عمان .

– كفافي ، عطاء ، المقالة الأدبية ، ط1، 1985م ، هجر للطباعة والنشر، مصر .

– الماضي ، شكري ، هند أبو الشعر ، ومجموعة من الكتاب ، فن المقالة في الأردن ، 2000 م ، من منشورات جامعة آل البيت ، المفرق .

– محمد ، سيد محمد ، الصحافة بين التاريخ والأدب ، ط1 ، 1985 م ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

– المعاملي ، شوقي ، الاتجاه الساخر في أدب الشدياق ، 1988م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

– ابن منظور ، لسان العرب ، (د . ت) ، دار المعارف ، القاهرة ،

– ميويك ، د. سي ، المفارقة وصفاتها ، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة ، ط 1 ، 1993م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

– نجم ، محمد يوسف ، فن المقالة ، ط4 ، 1966 م ، دار الثقافة ، بيروت .

– النصيرات ، كامل ، تنفيس ، ط1، 2009 م ، الناشر : المكتبة الوطنية ، عمان .

– النصيرات ، كامل ، نكشة راس ع الأصلي ، 2006 م ، مطبعة الروزنا ، عمان .

– أبو نضال ، نزيه ، الساخرون ، تحت الطبع والنشر .

– أبو نضال ، نزيه ، استحقاقات الكتابة ، مجلة أقلام ، 27 ، ص12– 15، 2009م .

– أبو نواس ، الحسن بن هانئ ، ديوانه، 1980 م ، دار صادر ، بيروت .

– النويري ، شهاب الدين ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 1976 م ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة .

- الهوال ، حامد عبده ، السخرية في أدب المازني ، 1982 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

- وتار ، محمد رياض ، توظيف التراث في الرواية الغربية االمعاصرة ، 2002 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .

- وهبة ، مجدي ، وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط2 ، 1984 مكتبة لبنان ، بيروت .

Abstract

Ironic Literature in Jordan

Journalistic articles and short story as models

by
Ahmed Abdullah Alowaisi
Supervisor
Dr. Jamal Mohammed Maqabllah
(Associate Professor)

This study deals with Ironic Literature in Jordan Journalistic articles and short story as models.It shows that irony appeared as a reaction to major social changes which affected individuals and community. Writers have used it as means of criticism and change.
This study contains an introduction, three sections and an ending. The title of the first section is irony concepts and ideas. We talked about the meaning of irony in language and idiomatically and the similar and close terms of irony such as cynicism, sarcasms. Also, the first section discusses ways and reasons of irony as well as the characteristics that may ironic writers have.

The second section is a study of the history of irony in Arab and western literature. The third section is titled as ironic literature in Jordan: Journalistic articles and short story as models. It shows some critical techniques such as paradox, Intertextuality, colloquial language and photographical cartoon. Also, it discusses some social, economical and political issues.

Ironic contexts are studied critically through taking in consideration the shape and content. The significance of this study appears in discussing a new topic which wasn't given enough attention before. In addition, to the importance of the subject itself.